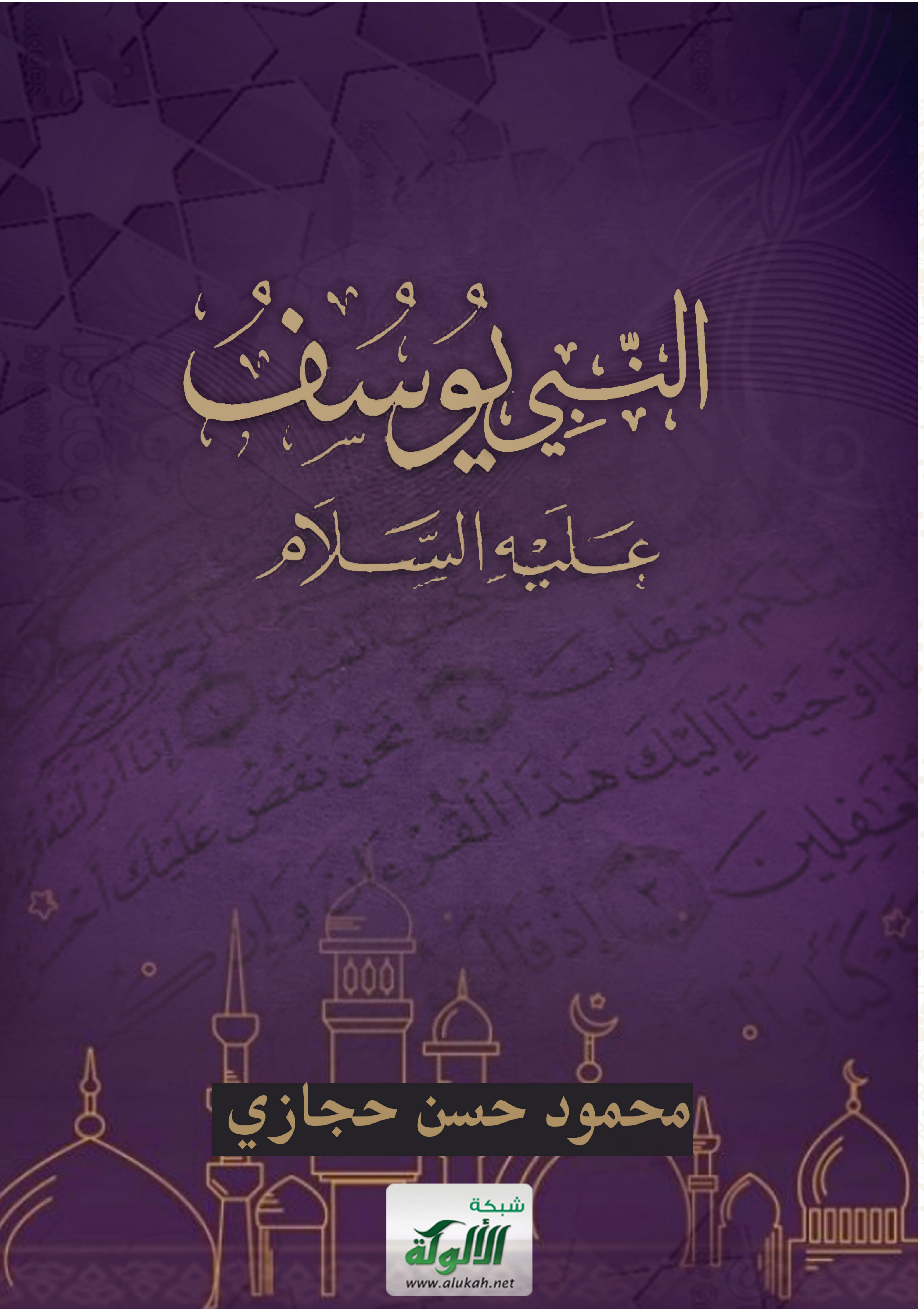


النبي يوسف
عليه السلام
محمود حسن حجازي
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإهـــداء

إهـــداء إلى روح أبي العزيز،،

إهـــداء إلى أمي الغالية،،،

إهـــداء إلى زوجتي الحبيبة،،،

إهـــداء إلى ابني الحبيب،،،

إهـــداء إلى ابنتي الغالية،،،

إهـــداء إلى كل أحبابي،،،

المقـــدمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..





لقد بعث الله ﷻ إلى البشر العديد من الأنبياء والرسل كي يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده وألّا يشركوا به شيئاً، ومن ضمن هؤلاء الأنبياء الذين ورد ذكر قصصهم في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ هو يوسف عليه السلام، بل وهو أحد الأنبياء الذين سميت سورٌ في القرآن الكريم باسمهم، وهذا وإن دلّ على شيءٍ فإنّه يدلّ على العبر العظيمة التي من الممكن أن يستقيها الإنسان من قصة النبي يوسف عليه السلام، ففي قصته عبرةٌ للجميع وخاصّةً الشباب، فما واجهه عليه السلام في طفولته وشبابه هو نفسه ما قد يواجه العديد من الشباب ولكن بدرجةٍ أعظم بكثير، فلهذا يمكن للشباب أن يأخذوا من قصته عليه السلام على العديد من العبر التي ستساعدهم في تخطي هذه العقبات المختلفة التي قد يجدها في طريقه.

يوسف عليه السلام أكرم الخلق وأعلاهم منزلة وأشدهم عبادة وطاعة لله ﷻ، فالأنبياء هم صفوة الخلق اختارهم الله ﷻ لحمل رسالة التوحيد وتبليغها للناس، فهم الأمناء على ذلك، لتحمل الأعباء والأذى والصبر على ذلك، فما من أمةٍ إلا خلا فيها نذير. لاقى الأنبياء من التكذيب والتنكيل الكثير وكذلك من تبع سبيلهم، ولا سيّما من أقرب النّاس إليهم، فنبينا محمد ﷺ ناصبه العداء عمه أبو جهل، أما يوسف عليه السلام فمنذ صغره حاول إخوته قتله والتخلص منه، لما له من محبةٍ ومكانةٍ عظيمة عند والده، فكادوا له ورموه في غيابت الجب، نسب النبي يوسف عليه السلام من سلالة الأنبياء الكرام، فوالده النبي يعقوب عليه السلام، وجده النبي إسحاق عليه السلام، والنبي إسحاق ابن النبي إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء عليه السلام، فهو نبي بن نبي بن نبي، من أطهر النسب وأشرفه، وعدد إخوة النبي يوسف عليه السلام﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ ﴾ يوسف: ٥٨، للنبي يوسف عليه السلام أحد عشر أخاً، حيث قال الله ﷻ:﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ





عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ يوسف: ٤، وأسماء إخوة يوسف عليه السلام هم: "لاوي وشمعون، وروبيل ويشجر، وزيالون ويهوذا، وأشر ودان، وجاد ونفتالي، وأصغرهم بنيامين، والنبي يوسف عليه السلام وبنيامين من أمٍ واحدةٍ واسمها راحيل."[1]

هذه قصة النبي يوسف عليه السلام من أحسن قصص القرآن التي قصها الله عز وجل على نبيه مما فيها من أحداث متنوعة في الحياة من ابتلاء ومكيدة وفتنة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين

فهيا بنا ندخل لنبدأ ونعرف قصة هذا النبي الكريم والأحداث الحاصلة معه..

كتبه

العبد الفقير إلى ربه عز وجل

محمود حسن حجازي

أبو حازم

[1] تفسير القرطبي (9/ 130).





مقتطفات من حياة النبي يوسف عليه السلام

ترعرع النبي يوسف عليه السلام في حضن والده يعقوب عليه السلام، حيث كان أحب الأبناء لديه وأعزهم، وهذه المحبة كانت ظاهرة على والده، مما استدعى غيرة أخوته الذكور وحقدهم عليه، والتربص به شراً، وفي أحد الأيام رأى النبي يوسف عليه السلام رؤية صادقة، حيث رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، وقد تحقق منامه هذا بعد عشرات السنين، حيث أصبح عزيز مصر بعد أن رماه إخوته في الجب، وظنّوا أنهم قد تخلصوا منه للأبد، وبذلك يفوزون بحب أبيهم لهم، وأخبروا والدهم أن الذئب قد أكله، ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى شاءت أن يلتقطه بعض الأشخاص ويبيعوه، فاشتراه أحد المسؤولين في بلدٍ آخر، وقال لامرأته أن تكرم مثواه، ولكن بسبب جمال النبي يوسف عليه السلام وقعت هذه المرأة في حبه، وكادت له المكائد لينفذ لها طلباتها ورغباتها، ولكنّه رفض بسبب خوفه من الله سبحانه وتعالى وعفته، فانتهى به الأمر إلى السجن، وفي السجن كان يدعو إلى التوحيد ويفسر المنامات، فوصل خبره لملك بلاده، فاستدعاه لتفسير حلمه، وأخبره بقصته ومن بعدها ظهرت براءته، وقرّبه الملك منه، وصار أميناً على خزائن الأرض، وبعد فراقه عشرات السنين عن والده وأهله أذِن الله عز وجل أن يجتمع شملهم، فخرّ الوالدان والإخوة سجداً تكريماً لعزيز مصر يوسف عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ





﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾﴾ يوسف: ٢ - ٦ هذه الآيات الكريمات تحكي لنا قصة يوسف عليه السلام.

والآن لنبدأ بتفصيل قصة النبي يوسف عليه السلام





طفولة النبي يوسف عليه السلام ورؤياه

فتبدأ قصة يوسف عليه السلام من حياته مع أبيه وإخوته، فهو ابن نبي الله سبحانه وتعالى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعاً، فكان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ابناً يعود إليهم نسب الأسباط جميعهم، ومن بين هؤلاء الأبناء كان يوسف عليه السلام أجلّهم شأناً وأحبّهم إلى يعقوب عليه السلام، وقبل أن يبلغ يوسف عليه السلام الحلم رأى مناماً ذكره الله سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤، فكانت هذه بداية قصته عليه السلام في القرآن الكريم، وعندما قصّ يوسف عليه السلام هذه الرؤيا على أبيه عرف تأويلها، فأخبره أنّه سيكون ذا شأنٍ عظيم، وكان سجود الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر يدلّ على خضوع إخوته الأحد عشر وأبيه وأمّه له عليه السلام، وأخبره أبوه ألّا يخبر إخوته عن هذه الرؤية كي لا يكيدوا له ويحسدوه، فقد كانوا يحسونه أيضاً أنّ منزلته هو وأخوه يعنون عند أبيهم أكبر من منزلتهم، فاقترحوا أن يقتلوا يوسف عليه السلام أو ينفوه بعيداً ويكونوا صالحين من بعدها فينالوا محبة أبيهم، وبعدها اقترح أحدهم أن يلقوه في البئر فيلتقطه أحد المسافرين.





يوسف عليه السلام في البئر

بعدما أجمع إخوة يوسف عليه السلام على إلقائه في البئر طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم كي يرعى الأغنام، ولكن يعقوب عليه السلام لم يكن يريد مفارقة يوسف عليه السلام وخاف أن يأكله الذئب ولا يستطيع دفعه عنه لصغر سنّه ولا ينتبه له إخوته لانشغالهم، ولكنّهم أكدوا له أن هذا لن يحصل وأنّهم عصبةٌ يستطيعون دفع الأذى عن أخيهم، فوافق يعقوب عليه السلام أن يبعثه معهم وعندها قاموا بتنفيذ خطتهم بإلقائه في البئر، وعندها كان إيحاء الله سبحانه وتعالى له بأنّه سيأتيه الفرج قريباً، فحتى لو أعدّ الناس الخطط وأعدوا المكائد، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو خالق كلّ شيء وبيده أمره، وهو الذي لا يقع أيّ شيءٍ إلّا بأمره ووفقاً للقدر، فما قد تراه النهاية العظمى لك تكون هي بداية الخير كلّه. بعدها أتى إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم في المساء وعلى قميصه دمٌ كذبٌ من سخلةٍ ذبحوها، ولكن يعقوب عليه السلام عرف ذلك، فكما ذكر العلماء أنّهم نسوا أن يشقوا ثيابه، فكيف للذئب أن يأكله وينزل الدم على ثيابه من دون أن تشق، فلما رأى ذلك يوسف عليه السلام انتابته الريبة، وقد مرت قافلةٌ ذاهبةٌ إلى مصر بالبضائع فتوقّفوا عند البئر ليشربوا منه، وعندما أنزلوا الدلو تعلق به يوسف عليه السلام.

وتم إلقاءه عليه السلام في بئر بدل قتله على أمل أن يلقاه أحد المارين ويأخذه، وهذا ما فعلوه، فقد ألقوه في البئر وأخبروا أباهم بأن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب، **سأخبركم بمكان هذا البئر الذي ألقي فيه النبي يوسف** عليه السلام, فموقع بئر يوسف عليه السلام هناك العديد من المناطق والدول التي نسبوا وجود البئر فيها، فقد قيل بأن البئر موجود في مصر وآخرون قالوا بأنه في سوريا، وهناك من قال بأنه في مدينة نابلس في فلسطين، وقد وجد بأن هناك العديد من الآبار التي أطلق عليها اسم بئر يوسف عليه السلام، ولكن بناء على الدراسات التي قام بها المؤرخون، وبالاعتماد على أوصاف البئر والنصوص التي ذكر فيها، فقد تم ترجيح وجود البئر ما بين مكانين في



مدينة نابلس الفلسطينية، وتحديداً ما بين منطقة قبلان ومنطقة سنجل، ولكن الغالبية تجمع على أن مكان البئر هو في بلدة قبلان الواقعة على بعد ثمانية عشرة كيلو متر عن نابلس وخمسة وأربعون كيلو متر عن مدينة القدس، ويطلق أيضاً على بئر قبلان اسم بئر الجناب، ولكن يبقى الله سبحانه وتعالى وحده هو من يعلم المكان الدقيق والصحيح لهذا البئر.





يوسف عليه السلام وعزيز مصر

وقد مرت قافلةٌ ذاهبةٌ إلى مصر بالبضائع فتوقّفوا عند البئر ليشربوا منه، وعندما أنزلوا الدلو تعلق به يوسف عليه السلام فاستبشروا به وأخذوه مع جملة بضاعتهم إلى مصر، وبلغ به الأمر في النهاية ليشتريه عزيز مصر، أي وزيرها، وقال لزوجته أن تكرم مثواه لعلهم يتخذوه ولداً لهم، فعلمه الله سبحانه وتعالى من تأويل الأحاديث وتعبير الرؤى وغيرها كي يوحي إليه الله سبحانه وتعالى فيما بعد.





يوسف عليه السلام وامرأة العزيز

بعد أن انتهى يوسف عليه السلام من محنة البئر و معاناته فيه، انتقل إلى محنة أخرى أصعب من سابقتها، فقد عمل يوسف عليه السلام في بيت سيد مصر العزيز، وقد أظهر يوسف عليه السلام في عمله كل ما يكنه من أمانة ونزاهة وكياسة، مما زاد من ثقة العزيز به، أما امرأة العزيز فقد كانت لا تنجب بسبب عقم زوجها، و لما كان يوسف عليه السلام يتمتع بجمال باهر وحسن في الخلق والخلقة، فتنت به وأحبته حباً شديداً، وأخذت تتقرب منه وتبدي له حبها، إلا أن يوسف عليه السلام كان دائماً يعرض عنها امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى وخوفاً من عصيانه اشتد هيام هذه المرأة بيوسف عليه السلام، وهاج بها الغرام لدرجة أنها راودت يوسف عليه السلام في حجرته، إلا أن يوسف عليه السلام أبى وأراد الخروج من المكان، فمزقت له ثوبه من الخلف، وعندما وصل إلى الباب وفتحه وجد زوجها عند الباب، فابتلاء العفة في حياة يوسف عليه السلام لكن لم ينتهِ البلاء والاختبارات التي نزلت على النبي يوسف عليه السلام هنا، فكما ذكرنا أنّه كان عبرةً لكلّ الشباب وفي مقاومة غرائز النفس وشهواتها، فقد كان يوسف عليه السلام جميلاً جداً، بل كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه أعطي شطر الجمال، فيكون المؤمنون في الجنة على جمال يوسف عليه السلام، ففتنت امرأة العزيز بجماله وتزينت له ولبست أحسن الثياب، ودعته إليها، وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذلك الموقف في القرآن الكريم في الآيات التالية:

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ يوسف: ٢٣ ، وفي قوله سبحانه وتعالى غلّقت مبالغةٌ إمّا لتشديدها على إغلاق الأبواب أو لكثرة تلك الأبواب، ولكنّه عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله سبحانه وتعالى يخافه فتمنّع وأخبرها بأن زوجها العزيز هو سيد ذلك البيت وله من الفضل الكبير عليه، فهو الذي رعاه وعلّمه، وقد





أقبلت عليه إلّا انّه أصرّ على دفعها ولم يكن في قلبه أيّ شيءٍ غير دفعها عنه فلم يقبل عليها ولو للحظةٍ حتى في تفكيره فقد رأى برهان ربّه، وبرهان الله ﷻ هو النور المزروع في قلبه عليه السلام، فقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ يوسف: ٢٤ ، هي ليست كما فسرها البعض بأنّها إقبالٌ منه عليها فهو لا يجوز في حقّ نبيٍّ من أنبياء الله ﷻ المعصومين، ولكن تفهم بأنّه لولا برهان الله ﷻ لهمّ بها، أي لولا نور الإيمان الذي في قلبه لراودته نفسه على فعل المعصية، ولكن وفي حال النبي يوسف عليه السلام كان همّه الوحيد هو دفعها عنه والابتعاد عنها لحرجه الشديد فقد كان شديد الحياء والخجل، فلذلك كان عليه السلام مثالاً على من يظلهم الله ﷻ بظله، إذ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنيّ أخاف الله.

فهرب عليه السلام بعدها إلى الباب كي يفرّ منها، فوجد زوجها عند الباب، ولكنها لم تتوقّف على ذلك بل بدأت بالتباكي واتّهمت يوسف عليه السلام بأنّه هو الذي يريد بها السوء، وقال عليه السلام أنّها هي التي راودته عن نفسه، فاحتاج إلى قول الحقيقة كي ينفي ما اتهم به، وهنا حصلت المعجزة فالله ﷻ لا يرضى بالظلم والإهانة لعباده الصالحين، فإن اتقيت الله عز وجل فاعلم أنّه معك على الدوام، فأنطق الله ﷻ صبياً بالمهد كان من أحد أقاربها، فقال لسيدها أن يرى قميصه فإن كان قد مزّق من الأمام فيكون هو كاذب وهي صادقة، إذ إنّها تكون قد دفعته عن نفسها، وإن كان مزّق من الخلف فسيكون هو الصادق إذ إنّ قميصه سيكون قد تمزق خلال امساكها له وهو يهرب منها، وعندها طلب زوجها منها أن تستغفر لذنبها ومن يوسف عليه السلام أن لا يذكر ما حصل فهو الأمر الأفضل والأقرب إلى الخلق في مثل هذه الحالة.





نسوة المدينة

لكنّ لم ينتهي الموقف عند هذا، فما زالت امرأة العزيز تحبّه وهو ما علم به نسوة المدينة فلهذا بدأن بالحديث عنها، ولما سمعت بذلك دعتهن وأعدت لهن الضيافة ومن ضمنها ما يقطع بالسكين وألبست يوسف عليه السلام أحسن الثياب فكان على أبهى الصور، وعندما خرج عليهن انبهرن بجماله حتى أنهنّ قطعن أيديهنّ بالسكين ولم يشعرن بالألم، وقد كان يوسف عليه السلام يغطّي وجهه في العادة إذا أتته امرأةٌ تريد حاجة كي لا يرى الناس جماله فيفتنوا فيه، فالجمال وهو نعمةٌ من نعم الله سبحانه وتعالى إلّا أنّه كان بلاءً ليوسف عليه السلام في هذه الحالة، فليست السعادة دائماً بما يظنّه الناس من النعيم، وعندما حرضّت نسوة المدينة يوسف عليه السلام على الطاعة لسيدته وامتنع وأبى هددته بالسجن، ولكن دعا يوسف عليه السلام ربه عز وجل بأن يسجن فهو أحبّ إليه من معصية الله سبحانه وتعالى، فلو لم يعصمه الله سبحانه وتعالى ويعطه القوة والنور في قلبه لما استطاع أن يمتنع عن الفاحشة، فاستجاب له الله سبحانه وتعالى فأمر العزيز وزوجته بسجن يوسف عليه السلام ظلماً كي يظهر للناس أنّه هو من راودها عن نفسه ويقلّ كلام الناس في تلك القضية.





يوسف عليه السلام في السجن

في السجن بدأ فصلٌ آخر من قصة يوسف عليه السلام، فدخل السجن دون أن يأتي بأية جريمة مبررة, إذ دخل معه السجن شخصان، وقد ذهب العلماء إلى أنّهما ساقي الملك وخبازه، فأعجبهما في يوسف عليه السلام عبادته وتوكله على الله سبحانه وتعالى، وشاهد كلّ واحدٍ منهما رؤيا على شاكلته، فرأى الأول أنّه يعصر الخمر من ثلاث عناقيد عنب قد امتلأت فعصر منها وسقى الملك، والآخر أنّه يحمل ثلاث سلالٍ من الخبز على رأسه وتأكل الطير من الخبز من على رأسه، فسألا يوسف عليه السلام عن ذلك، فأخبرهما في البداية أنّه ما من حلمٌ يحلمانه إلّا ويخبرهما تأويله فيكون كما قال، فهو من علمه الله سبحانه وتعالى تعبير الرؤى من صغره، وقبل أن يفسر لهما المنام أخذ يوسف عليه السلام في السجن يدعو المسجونين لتوحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته وعدم الشرك به، وقد بانت قدرة يوسف عليه السلام على تأويل الرؤيا للمسجونين، فقد كان ينبئهم بالطعام قبل إتيانه، وأخبرهما أنّه يوحد الله سبحانه وتعالى وأنّه على ملّة أبيه وأجداده يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام مسلماً لله سبحانه وتعالى الذي هو أقوى من تلك الأصنام المتفرقة، وقد أمر الله عز وجل أن يعبده الناس ولا يشركوا بعبادته أحداً، وقد كان يوسف عليه السلام في سجنه يعود المرضى وينصح الأشقاء ويواسي الضعفاء، وأخبرهما تأويل حلمهما بأن الخباز يصلب وتأكل الدير من رأسه، وأنّ الساقي يخرج من السجن ويعود لسقي الملك، وأنّ هذا أمرٌ مقضي سيحصل في العاجل أم الآجل، وطلب من الذي ظنّ أنّه ناجٍ أي الساقي أن يذكره عند الملك وما به من الظلم، فلا مانع من الأخذ بالأسباب، بل هو واجبٌ وهو لا ينافي التوكل على الله عز وجل أبداً، بل إنّه واجبٌ إلى جانب التوكل على الله سبحانه وتعالى، لكنّ الشيطان أنسى الناجي أن يذكر يوسف عليه السلام عند الملك لبضع سنين بقي فيها يوسف عليه السلام في السجن،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَدَا





لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ
فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ
رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ
لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ
ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ
إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ
مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي
ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ يوسف: ٣٥ – ٤٢، ولكن بعدها أراد الله ﷻ إخراج
يوسف عليه السلام من السجن، فرأى الملك رؤيا وهي أنّه كان على حافة النهر فخرجت
سبع بقراتٍ سمانٍ يرتعن في الخضرة هنالك، فخرجت سبع بقراتٍ هزال ضعاف
فرتعن معهن ثم أكلنهن، فاستيقظ مذعوراً ونام بعدها، فرأى سبع سنبلاتٍ خضرٍ



في قصبة واحدة، فإذا بسبع يابسات أخر يأكلونهن، فقصها على قومه فأخبروه أنّها من الأحلام التي لا تعبير لها، وأن لا خبرة لهم بتفسير الرؤى، وعندها تذكّر الساقي الذي نجى من السجن يوسف عليه السلام وقدرته على تفسير الرؤى وأخبر الملك عنه وطلب أن يرسله إلى يوسف عليه السلام كي يفسرها له، فأخبرهم يوسف عليه السلام بأنّه يأتيهم سبع أعوامٍ يخضرّ فيها الزرع ومن بعدها سبعٌ يأتيهم فيها القحط ومن بعدها يأتيهم عامٌ فيه الخير ويرزق فيه الناس ويعودون إلى عصر ما كانوا يعصرونه من الزيتون والعنب والسمسم وغيره، وأخبرهم ما يفعلون في كلٍّ من السنين كي يتغلبوا عن القحط، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يوسف: ٤٣ - ٤٩، وعندما علم الملك بعلم يوسف عليه السلام أراد أن يخرجه ويجعله من حضرته، ولكنّه أبى ذلك وطلب من رسول الملك الذي أتاه أن يعود إلى الملك ويطلب منه أن يسأل العزيز عن التهم التي وضع على إثرها في



السجن كي تظهر براءته أمام الناس جميعاً، وعندما سأل الملك عن ذلك أخبرنه أنّه تمنع عنهن وأخبرت امرأة العزيز أنّ الله ﷻ قد أظهر الحق واعترفت بذنبها، كي يعلم العزيز أنّها لم تخنه من دون علمه، فبانت براءة يوسف عليه السلام أمام الجميع قبل خروجه من السجن وما كان به من الظلم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ﴾ يوسف: ٥٠ - ٥٢، وعندما ظهر للملك ما كان به من الظلم والعفة وما يمتلكه من العلم والحكمة طلب أن يأتوه به كي يكون من أكابر القوم عنده، وطلب من الملك أن يوليه على خزائن الأرض كي يستطيع إخراج الناس من الضيق الذي سيحصل بحسب رؤيا الملك، فهو علم أنّه يستطيع ذلك وله من القوة والعلم والأمانة ما يؤهّله لذلك، ولهذا طلب بنفسه أن يتولاه فلا حرج في ذلك، وقيل أيضاً أن العزيز عندما مات زوّجه الملك امرأته وجعله في منصبه فأصبح ذا مكانةٍ وشأنٍ في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ يوسف: ٥٤ - ٥٥





مكان السجن

السجن الّذي وضع فيه يوسف عليه السلام لم يصح وجوده تعييناً، وإن قال عدد من العلماء بوجوده في مدينة سقارة في جنوب القاهرة، وقيل كذلك إنّه موجود في قرية بوصير أو أبو صير في محافظة الجيزة[1]

[1] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (3/ 307).



نجاة يوسف عليه السلام من السجن

الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، والله عز وجل لا ينسى الظلم إذا وقع بالإنسان ويأخذ بحقه حتى ولو بعد سنين، فكيف لقصة يوسف عليه السلام أن تنتهي من دون أن يعيد له حقّه لما وقع عليه من الظلم من أخوته ويلّم شمله مرةً أخرى بأبيه الصالح عليه السلام، فعندما كانت سنين القحط كان يوسف عليه السلام الحاكم على الأمور المصرية، فأتى إخوة يوسف عليه السلام يطلبون الطعام منه، فعرفهم على الفور إلّا أنّه لم يخطر ببالهم أبداً أن يكون يوسف عليه السلام قد وصل إلى هذه المكانة العظيمة فلم يعرفوه، وأعطاهم الطعام حمل بعير كما جرت به العادة بإعطاء كلّ شخص، وسألهم عن أنفسهم فأخبروه أنّهم اثنا عشر رجلاً ذهب منهم واحدٌ وبقي الآخر عند أبيهم، فطلب منهم أن يأتوه به في العام المقبل فقد تيقنوا من أنّه يوفي الكيل لكلّ شخصٍ ويعدل بين الناس، وهددهم بأنّهم إن لم يأتوه به فلا كيل لهم عنده، وطلب من فتيانه أن يعيدوا لهم البضاعة بالخفية خوفاً من أن لا يكون لديهم ما يعودون به في العام المقبل ليقايضوا به. عندما عادوا أخبروا أباهم يعقوب عليه السلام أنّه إن لم يبعث معهم أخيهم في العام المقبل فإنّه سيمنع الكيل منهم، وعندها وافق يعقوب عليه السلام على خيفةٍ من نفسه أن يبعث أخيهم معهم إذ إنّه كان يرى فيه ريح يوسف عليه السلام ويعوضه عنه، وقد بعثه أيضاً لحاجة أهله إلى الطعام وأنّ لا قدرة لهم على من الطعام في سنين الجدب والقحط هذه، فأخذ منهم المواثيق والعهود مع علمه أنّه لا تنفع المواثيق إن حصل القدر، وطلب منهم عليه السلام أن يدخلوا من أبواب متفرقة وكان السبب في هذا أن لا يصابوا بالعين فقد كانوا حسان الشكل.



خروج يوسف عليه السلام من السجن

بعد أن عاد الساقي وأخبر ملكه بما قاله يوسف عليه السلام من تأويل لرؤياه، اقتنع الملك به ورأى أن ذلك تأويل مناسب وأطمان له، وطلب من حاشيته إخراج يوسف عليه السلام من السجن، لكن يوسف عليه السلام أبى أن يخرج وقال لحاشية الملك أن يعود ويسأله عن أمور أخبار النسوة الاتي قمن بتقطيع أيديهن، وقد كان هدف يوسف عليه السلام في ذلك أن يخرج من السجن مبرئاً نفسه من أي تهمة، ويعود نقياً طاهراً رافع الرأس بعد أن علم الملك بردة فعل يوسف عليه السلام، أمر بإحضار النسوة وسألهن عن يوسف عليه السلام، فأجبنه بأنه لم يرد منه أي سوء، وأنه كان كريماً عفيفاً ونزيهاً، ولما رأت امرأة العزيز أن الحق قد ظهر، اعترفت بأنها هي من قامت بمراودته عن نفسه ودفعه للقيام بالفاحشة, وجاء ذلك في الآيات الكريمة التالية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ يوسف: ٥٠ - ٥٣

وبذلك ظهرت براءة يوسف عليه السلام وأصبح موضع حديث محمود السيرة بين العباد والناس، ومن ذلك فقد ازداد شأنه ومكانه عند الملك، فجاء به واستقبله أحسن استقبال، وعندما كلمه الملك أعجب في كلامه وعقله ومنطقه، وسأله الملك أن يطلب أي عمل يريد، وكانت إجابة يوسف عليه السلام بأنه يريد من الملك أن يجعله على





خزائن الأرض، ومعنى ذلك أنه أراد أن يخرج البلاد من أزمتها الاقتصادية, ويتولى شؤونها المالية, ومن فضل الله ﷻ على يوسف عليه السلام، فقد مكنه في الأرض وأصبح يوسف عليه السلام وزيراً يمتلك صلاحيات نافذة ومطلقة، تولى يوسف عليه السلام تلك السلطة سبع سنوات، كانت تلك السنوات مليئة بالغلات الوافرة والخيرات الكريمة، وأعقب السنوات السبع تلك سبع أخرى مليئة بالجدب والقحط و الشدة، لكن يوسف عليه السلام كان مدبراً فلم تعاني البلاد من تلك الأوضاع السيئة وقد جاء وصف ذلك في الآيات الكريمة التالية **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يوسف: ٥٤ - ٥٧





لقاء يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين

عندما دخلوا إلى الملك ومعهم أخوهم أخبره أنّه أخوه وطلب منه أن يكتم ذلك، وأراد أن يحتال عليهم كي يأخذه منهم، فوضع صواع الملك أي سقايته في رحل أخيه بنيامين واتهمهم بالسرقة وأنّه لمن يعيد الصواع حمل بعيرٍ آخر، ولكنهم نفوا ذلك، فطلب يوسف عليه السلام منهم ان يخبروه ما جزاءهم إن كانوا كاذبين فأخبروه أنّ من يسرق عندهم يدفع منه، وقد طلب منهم ذلك؛ لأنّه لم يكن باستطاعته أن يأخذ أخيهم منهم بحسب سياسة مصر، فلما استخرجوا الصواع من حمل بنيامين اتهموه أنّه يسرق كأخيه من قبل ويعنون يوسف عليه السلام، إلّا أنّه أسرّها في نفسه، وطلبوا منه أن يأخذ أحدهم بدلاً منه لأنهم أعطوا المواثيق لأبيهم، ولكنه أبى أن يأخذ أحداً غير الذي سرق وأن يأخذ البريء عوضاً عنه، عندما يئسوا من إرجاع أخيهم قال كبيرهم أنّه لم يعد قادراً على مواجهة أبيه بعد المواثيق وبعد ما فعلوه بيوسف عليه السلام، وأنّه لن يعود حتى يأذن له أبوه بالعودة أو أن يستطيع إرجاع بنيامين من الملك، وعندما عادوا إلى أبيهم وأخبروه بما حصل كذبهم وخاصةً بعدما فعلوه بيوسف عليه السلام، فالسرقة ليست من صفات بنيامين، وتذكر حزنه القديم على يوسف عليه السلام ودعا الله عز وجل أن يعيد له يوسف عليه السلام وبنيامين، وعندها ومن كثرة حزنه وبكائه أصابه العمى، فلما رأى أبناؤه ما به من الوحدة طلبوا منه أن يتوقف عن ذكرهما رحمةً به وخوفاً عليه من الضعف بسبب ذلك، ولكنّه نبيٌّ كريمٌ من أنبياء الله سبحانه وتعالى فأخبرهم أنّه لا يشكوا إليهم بل إلى الله سبحانه وتعالى وأنّه يعلم أن الله عز وجل سيخرجه ممّا هو فيه من الضيق، وطلب منهم أن لا ييأسوا من طلب يوسف عليه السلام وبنيامين وأنّ ييقنوا بأنّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على تفريج كلّ كربٍ وهم.





قميص يوسف عليه السلام

فرجع إخوة يوسف عليه السلام إليه مرةً أخرى وطلبوا منه الميرة وأن يتصدق ويمنّ عليهم ويعطيهم أخيهم بنيامين، وأخبروا العزيز أنّهم أصابهم وأهلهم الضعف والقحط وأنّهم لم يأتوا إلّا بدراهم معدودةٍ لما بهم من القحط، فعندها حزن يوسف عليه السلام وعطف على ما بهم من الجدب وأخبرهم أنّه هو يوسف عليه السلام وأنّ هذا هو أخيه وأنّ الله عز وجل أكرمهما لما هما فيه من برّ الوالدين وطاعته سبحانه وتعالى وصبرهما على أذيتهم لهما، وعندها أخبروه أن الله سبحانه وتعالى فضله عليهم وأنّه كانوا مخطئين وأحسوا بذنبهم وبسوء صنيعهم، وهنا تظهر قمّة العظمة في يوسف عليه السلام وهو العفو عند المغفرة، فقال لهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف: ٩٢، وأخبرهم أن يذهبوا بقميصه فيضعوه على عيني أبيهم حتى يعود إليه بصره، وهي من معجزاته عليه السلام، وأخبرهم أن يرجعوا بأهلهم جميعاً كي يلتمّ شملهم مرةً أخرى.





تأويل رؤيا يوسف عليه السلام

فلما عادوا إلى أبيهم أحسّ عليه السلام بريح يوسف عليه السلام قبل أن يقدموا إليه بمسافةٍ كبيرة، وعندما أخبر قومه قال لهم أنّه يخاف أن يظنوا أنّ هذا من الخرف وكبر السن، وهو ما ظنوه بالفعل، ولكن عندما أتى البشير وألقى القميص على وجهه يعقوب عليه السلام عاد بصيراً على الفور، وأتى يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام، وقيل أنّه عندما أتى خرج معه الملك والحرس في موكب إعظاماً ليوسف عليه السلام لاستقبال يعقوب عليه السلام، وقيل أنّ الله سبحانه وتعالى رفع سنين القحط ببركة قدومهم، فعندما وصلوا أخذ أبيه وأمّه وأجلسهما معه على سريره وخرّوا له ساجدين إعظاماً له، وقد كان هذا الأمر مشروعاً عندهم وفي باقي الشرائع حتى حرّمه الله سبحانه وتعالى في الإسلام، وقد كان هذا تأويل الرؤيا في بداية قصته عليه السلام حين رأى الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، وبذلك رأى يوسف عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى أتمّ فضله ونعمه عليه بعد الضيق والهم، ودعا الله عز وجل أن يتمّ فضله بأن يتوفاه مسلماً ويرزقه الجنة فهذه هي الغاية الكبرى التي قد يسعى لها أيّ إنسان مهما كان به من النعيم أو الضيق.



زوجة يوسف عليه السلام

سُمِّيت باسم راعيل بنت رماييل، ولقبها زليخا أو زليخاء، كانت زليخا من الجميلات الحسناوات، وهي من أجمل فتيات مصر، وكانت متكبرة بسبب جمالها وأناقتها، وكانت زليخا هي زوجة عزيز مصر بوتيفار، في عهد الملك أمنحوتب الثالث، الذي يُعد من أهم وأعظم وأقوى الملوك التي حكمت مصر حتى الآن، وبعد قيام إخوة يوسف عليه السلام برميه في البئر ليتخلصوا منه، وجده تاجر عربي اسمه مالك، وقام ببيعه بسوق النخاسة لعزيز مصر بوتيفار, وبعد قيام عزيز مصر بأخذ يوسف عليه السلام قام بتربيته في قصره بين زوجته وبينه، واعتبره ابنه ؛ لأنه أحس بأنه ذو رأي سديد وفطنة كبيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١

وكبُر يوسف عليه السلام بين العزيز وزوجته لمدة أحد عشر عاماً، فأصبح شاباً جميل الوجه، كلامه حلو ومنمق، وقوياً شجاعاً لا يخاف في الله عز وجل لومة لائم، وكان صاحب علم وثقافة كبيرة، وبعدما كبر زاد حُبّ زليخا وهيامها بيوسف عليه السلام، حتى قامت بمراودته عن نفسها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤ ، ولكن يوسف عليه السلام كان نبي الله سبحانه وتعالى، فلم يقبل بأن يبادلها معصية الله سبحانه وتعالى ، حتى رآهم العزيز، ولكنه اكتشف أن زوجته هي من راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، وعرِف أنها تخونه، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ



﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ يوسف: ٢٨ ، وبعد رفض يوسف عليه السلام أن يراودوها عن نفسه، قامت بعرض يوسف عليه السلام على نساء المدينة، لترى ردة فعلهم عندما يروه، من الجمال الذي يتمتع به يوسف عليه السلام، وعندما رأوه الناس ليوسف عليه السلام قاموا بتقطيع أيديهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ يوسف: ٣٠ - ٣٢

وقامت بعدها زليخا بسجن النبي يوسف عليه السلام لمدة عشر سنوات، قال سبحانه وتعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ يوسف: ٣٣، وقامت زليخا بالبكاء على فقدان يوسف عليه السلام، حتى فقدت جمالها وفقدت بصرها، وبعد اكتشاف الملك بأن يوسف عليه السلام بريء، قام بإخراجه من السجن، وبعد فترة توفي، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾ يوسف: ٥١، وبعد وصول يوسف عليه السلام لحكم مصر، وأصبح هو العزيز، في هذا الوقت، كانت زليخا عجوز عمياء، وذهب كل جمالها وما لها،



وأصبحت تطلب الصدقة من الناس، وبعد فترة قال لها الناس بلقاء عزيز مصر، فوقفت له عند خروج موكبه، وقالت له: "أنا التي ربيتك في بيتي، وكنتُ امشط لك شعرك"، فبكى يوسف عليه السلام، وطلب منها الزواج، ولكنها رفضت، وبعد ذلك تزوجها، ودعا لها الله سبحانه وتعالى ليعيد لها جمالها وبصرها، وبعدها عاشا مع بعضهما في القصر، وقد قام يوسف عليه السلام بضم إخوته وأبيه ضمن مملكته.





لقاء يوسف عليه السلام مع والده

ذاع صيت يوسف عليه السلام بين الناس والشعوب والبلاد، وذات مرة، قال يعقوب عليه السلام والد يوسف عليه السلام لأبنائه بأن يقصدوا العزيز بمصر نظراً لما حل بهم من قحط وجدب، فأمرهم بأن يذهبوا إليه جميعاً عدا أخاهم بنيامين ليستأنس به في وحدته، ذهب أبناء يعقوب عليه السلام العشرة إلى يوسف عليه السلام، واستأذنوا يوسف عليه السلام بالدخول فأذن لهم، عرف يوسف عليه السلام إخوته رغم أنهم لم يعرفوه، فأحسن ضيافتهم وأكرمهم, أمر غلمانه بأن يوفر لهم الكيل وأن يردوا لهم أموالاً يدسوها في رحالهم، وقال يوسف عليه السلام لإخوته: إني سأجهزكم بجهازكم وسأضاعف لكم إكرامكم إن عدتم لي مرة أخرى, إن جاؤوا ومعهم أخوهم، وقال لهم بأن لا يأتوا أو يقربوا إن لم يحضروا أخاهم معهم وقد جاء ذلك في الآيات الكريمة التالية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يوسف: ٥٨ - ٦٢

عاد إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم وأخبروه بطلب الملك، فأذن لهم على مضض وكره وأرسل معهم أخاهم بنيامين، مشرطاً عليهم بأن يعودوا به سالماً إلا إن حصل معهم مكروه غير محسوب، عاد إخوة يوسف عليه السلام جميعهم فأكرمهم يوسف عليه السلام، وجلس معهم في وقت الغداء، وأخبرهم بأن ينزل كل اثنين منهم بيتاً من بيوته، وبما أن بنيامين كان وحيداً، فقال له يوسف عليه السلام بأن ينزل معه بعد أن أخذ



يوسف عليه السلام بنيامين معه، أخبره بقصته وأنه أخوه، بعد ذلك جهز يوسف عليه السلام إخوته بجهازهم وأمر غلمانه بأن يدسوا السقاية في رحل أخيه بنيامين، وعندما أرادوا الخروج، ناد مناد بإخوة يوسف عليه السلام أنهم سارقون، فتعجبوا من ذلك ونكروه، فقال المنادي بأنه إن وجد السقاية في رحل أحدهم فسيأخذه أسيراً عنده، بدأ المفتشون بتفتيش رحالهم إلى أن انتهوا ببنيامين فوجدوا السقاية في رحله، كلم إخوة يوسف عليه السلام العزيز طالبين منه أن يأخذ أي واحد منهم بدلاً من بنيامين لكنه لم يلبِ لهم مبتغاهم, ويئسوا من ذلك، تشاور إخوة يوسف عليه السلام فيما بينهم فقال لهم أحدهم بأنكم قد قطعتم عهداً على أبيكم، وبقي بأرض مصر ولم يعد مع إخوته، وعندما وصلوا إلى أبيهم قصوا عليه ما حدث، جاء الحديث عن ذلك في الآيات الكريمة التالية، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ



قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

﴾ يوسف: ٧٠ - ٨٣

عاد بعد تلك الحادثة إخوة يوسف عليه السلام إليه في مصر مرة ثالثة، وفي هذه المرة، أعلن يوسف عليه السلام لإخوته عن نفسه وأخبره بأنه أخوهم وعفا عنهم وترفع عن إساءتهم، وأعطاهم قميصه ليعطوه لأبيهم حاملين في البشرى له وليرد له بصره، وفي المرة الرابعة التي عاد فيها إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر كان معهم أبوهم جاء لقاؤه لهم في الآيات التالية، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ



جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ
مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا
لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ
إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ
ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ
أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ
إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ
يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي
مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ٨٨ - ١٠٠



وفاة يوسف عليه السلام

عند لقاء يوسف عليه السلام بأبيه كان النبي يعقوب عليه السلام يبلغ من العمر مائةً وثلاثين عاماً، وكان عمر يوسف عليه السلام 39 عاماً، توفي يعقوب عليه السلام بعد سبعة عشر عاماً من عودة يوسف عليه السلام إليه، أما يوسف عليه السلام فقد عاش حتى بلغ من العمر 110 أعوام، ومات وهو في سدة الحكم، دفن في مصر، ومن ثمّ تم نقل رفاته إلى الشام في عهد النبي موسى عليه السلام، وتم دفنه في مدينة نابلس في فلسطين.

توفّي يوسف عليه السلام قبل ميلاد موسى عليه السلام بأربعٍ وستين عاماً، وبعد ميلاد إبراهيم عليه السلام بـ361عاماً.

وما ورد عن وفاة يوسف عليه السلام كلها روايات غير مثبتة، ولم يرد في القرآن الكريم أو في صحيح السنة شيئاً عن وفاته، لذلك فلا نجزم بهذه الروايات، وقد وردت العديد من القصص في وفاته عليه السلام ، أمّا أرجح الأقوال إنّه عاش طويلاً وواجه فرعون وانتصر، ثُمَّ مات، ولكنّهم اختلفوا في مكان دفنه؛ وذلك لشدة رغبة الناس بالحصول على بركته، فاشتد القتال والعداء بين الناس، وفي النهاية اتفق الجميع على دفنه عليه السلام في نهر النيل؛ لتعمّ بركته على جميع أهل مصر، ودُفن في قبر رخامي مطليّ بالرّصاص وسط النيل، وفي زمن النبي موسى عليه السلام تمّ نقله إلى المقدس؛ ليُدفن قرب إبراهيم عليه السلام، وفي روايات أخرى أنّه نُقل في البدء للشّام دون فتح تابوته، وبعدها تم نقله لبيت المقدس لجوار إبراهيم عليه السلام، وقيل إنّه دُفن في منطقة تسمّى بالقلعة.





فوائد قصة يوسف عليه السلام

1. عدم البوح بالنّعم، لتفادي الإصابة بالحسد.
2. وجوب العدل بين الأولاد، بالحبّ وبالمعاملة.
3. الاستعانة بالله سبحانه وتعالى عند الشّدائد.
4. الحرص على جعل البيت طيّباً، لينتج أبناءً صالحين.
5. عدم اتّباع الشّيطان في أي أمر، لأنّ عواقب فعل ذلك وخيمة.
6. الإيمان بأنّ الحقّ سيظهر مهما طال الأمر.
7. الإيمان بالدّعاء وبقدرته، وأنّ الله سبحانه وتعالى يستجيب للعبد ولو بعد حين.
8. أنّ الله سبحانه وتعالى يسخّر للصّالحين والطّيبين أسباب العيش الكريم.
9. الصّبر مفتاح الفرج.
10. المسامحة من أخلاق العبد المسلم.

أبرز الدروس والعبر في قصة يوسف عليه السلام:

1. **كتمان الأسرار:** فحينما أخبر يوسف عليه السلام أباه برؤياه التي رآها في منامه أخبره يعقوب عليه السلام بألّا يحدث إخوته بها حتّى لا يضمروا نيةً سيئة اتجاهه، فقد علم يعقوب عليه السلام أنّ أخوته يغارون منه بسبب تفضيله ومحبته الشديدة له، وما قد تبعثه تلك الغيرة في قلوبهم من الحقد والضغينة.

2. **العدل في التعامل مع الأولاد:** على الرغم من إيمان يعقوب عليه السلام إلّا أنّ محبته ليوسف عليه السلام جعلته يميزه عن إخوته وذلك ما سبب البغضاء والشحناء التي أوغرت صدر أخوته عليه فكادوا له وأرادوا أن يقتلوه، إلى أن قرروا أن يجعلوه في غيابة الجب.

3. **الصبر والثبات على الحق:** فقد صبر يوسف عليه السلام صبراً عظيماً حينما ألقاه إخوته في الجب، كما صبر على كيد امرأة العزيز وما حاكته ضده من المؤامرات التي





انتهت بوضعه في السجن، حيث لبث فيه بضع سنين، ولم تُفتر تلك المحن عزيمة يوسف عليه السلام الذي ظل ثابتاً على الحق والمبدأ.

4.الحفاظ على رسالة الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى: لم ينسَ يوسف عليه السلام الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى حتّى في أشد لحظات حياته وأحلكها، ففي السجن وحينما جاءه رفقاء السجن يسألونه تعبير رؤياهم استفتح حديثه إليهما بدعوتهما إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وترك الإشراك به، وهذا يدل على شغف يوسف عليه السلام بالدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى، كما في قوله سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام مخاطباً رفيقي السجن:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾

يوسف: ٣٩.

5. ضرر الخلوة بالنساء الأجنبيات: فقد تعرض نبي الله يوسف عليه السلام إلى امتحانٍ كبير حينما أغوته امرأة العزيز والنسوة في المدينة حينما وجدوا الأسباب الداعية إلى ذلك من الخلوة والقدرة والسلطان.

6.تبرئة النفس من التهم: يجب الحصول على شهادة البراءة من التهم التي قد تطال الإنسان في حياته، فقد دخل يوسف عليه السلام إلى السجن بسبب كيد النسوة، فصبر على ذلك كله؛ لأنّه يعلم بأنّه مظلوم وأنّ الله سبحانه وتعالى ناصره ومؤيده ولو بعد حين، ولكن ما أهمّ يوسف عليه السلام حينما أمر الملك بإخراجه من السجن أن تعلن براءته أمام الملأ حتّى تنجلي الصورة وتظهر الحقائق التي أخفيت من قبل، فكانت النتيجة أن اعترفت امرأة العزيز بخطئها وأنّها هي التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، فخرج من السجن بصورةٍ ناصعة البياض بريئاً من التهم.

7.التمكين لا يأتي إلّا بعد الامتحان والابتلاء: فقد مرّ يوسف عليه السلام بكثيرٍ من المحن المؤلمة فاجتازها بقوة إيمانه وصبره حتّى كانت جائزته عند الله سبحانه وتعالى التمكين له في الأرض حينما أصبح مقرباً من الملك وتولى منصب رئيس خزائنها.





8. أن العين حق: وأنّه يجوز للإنسان أن يتبع منهجاً في الحياة يدفع عنه أذى العين وشرورها، فقد قال ﷻ على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ يوسف: ٦٧، فعلى الرغم من أنّ يعقوب عليه السلام كان مثالاً ونموذجاً في التوكل على الله ﷻ والإيمان بقضائه وقدره إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من أن يأخذ بالأسباب التي يمكن أن تدفع الشر والأذى عن أبنائه الذين كان جمالهم مظنة الحسد ووقوع شر العين.

9. طلب العون من الناس: يجب الاستعانة بالناس بما يحقق مصلحة الإنسان في دنياه ويرفع عنه الضرر والظلم، يوسف عليه السلام وعلى الرغم من إيمانه بالله ﷻ إلّا أنّه استعان برفيق السجن حينما قال له: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ﴾ يوسف: ٤٢، فكان نتيجة ذلك أن تذكر الرجل ما طلبه يوسف عليه السلام منه عندما رأى الملك الرؤيا التي طلب من الناس تعبيرها، حيث دلّه على يوسف عليه السلام بصفته عالماً بتعبير الرؤى ممّا أدى إلى إخراج يوسف عليه السلام من السجن بعد حصوله على البراءة ممّا نسب إليه، ولكن يُشترط بطلب العون أن يكون بالخير لا بالشر.

10. تجنب الفتن: يجب عدم التعرض للفتن والبعد عن مظانها، فقد ابتعد نبي الله يوسف عليه السلام عن امرأة العزيز حينما أرادت أن تغويه قاصداً باب الحجرة التي أغلقتها عليه، وفي هذا درسٌ عظيمٌ في ضرورة اجتناب الفتن وأسبابها، وعدم التعرض لها أو الثبات أمامها والتحلي بالإيمان الشديد العاصم منها، ودعوة الله عز وجل بدرئها.

11. التثبت من الحقائق: يجب الأخذ بالقرائن والبينات التي تثبت براءة الإنسان ممّا يُتهم به من الظلم والبهتان، فقد أتى شاهدٌ من أهل امرأة العزيز بقرينةٍ وبينةٍ على





براءة يوسف عليه السلام ممّا نسب إليه من الفتنة، حينما أشار عليهم بتفحص قميص يوسف عليه السلام ومعاينته، فإن كان قد تمزق من الأمام كان ذلك قرينةٌ تدل على ذنبه، بينما إذا كان القميص قد تمزق من الخلف كان ذلك قرينة تدل على براءته ممّا نسب إليه، وفي ذلك درسٌ وعبرة في ضرورة الأخذ بالأسباب التي تحول دون ظلم البريء والافتراء عليه كي يسود العدل بين الناس.

12. **اتباع طريق الحق:** يجب اتباع الطريق الذي يحقق رضوان الله سبحانه وتعالى والفوز بجنته، والابتعاد عن الطريق الذي يورد الإنسان المهالك ويكون سبباً من أسباب نيل سخط الله عز وجل وعذابه، ويظهر ذلك في تفضيل يوسف عليه السلام السجن على ما فيه من الضنك والشدة على اتباع هوى النفس ونزواتها، ودعوة أهل الباطل وغواياتهم، فقد قال سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ يوسف: ٣٣ .

13. **استخدام الحيلة المشروعة من أجل جلب المصالح ودفع المفاسد:** ويظهر ذلك في الموقف الذي قام به يوسف عليه السلام حينما وضع صواع الملك في رحل أخيه حتّى يتمكن من أخذه وإبقائه عنده.

14. **تزكية الإنسان لنفسه كلما دعت الحاجة إلى ذلك:** فقد نهت الشريعة الإسلامية المسلمين عن تزكية أنفسهم دون داعٍ أو سبب، بينما تكون التزكية مطلوبة حينما يرغب إنسانٌ في ترشيح إنسانٍ مؤهلٍ لتولي منصب معين، حيث يبين حينئذ قدراته وما يتميز به من الكفاءة العلمية أو العملية، ولذلك قال يوسف عليه السلام للملك حينما أراد توليته منصباً له القدرة على توليه: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ يوسف: ٥٥





15.أهمية الدعاء في حياة المسلم: فالدعاء هو أساس العبادة، وهو دلالةٌ على قوة صلة العبد بربه سبحانه وتعالى، فقد دعا يوسف عليه السلام ربه كثيراً وفي كلّ لحظات حياته، فحين تعرض لإغواء امرأة العزيز ونسوة المدينة دعا ربه عز وجل أن يصرف عنه كيدهن، وحينما أدرك أنّ الله سبحانه وتعالى قد منّ عليه بالتمكين في الأرض، وأسبغ عليه نعمه الكثيرة ومنها نعمة العلم والإيمان، دعا ربه عز وجل قائلاً: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١



قراءة نفسية في قصة يوسف عليه السلام

تتجلى في سورة يوسف عليه السلام عدة مواضيع نفسية هامة، تشكل دروساً وعبراً لمن أراد التعلم والاعتبار؛ فالسورة حافلةٌ بمشاهد تتجلى فيها انفعالات الغيرة، والحزن، والغضب، والخوف، والسرور، وبمشاهد الابتلاء للنبي يوسف عليه السلام ابتلاء بغيره الإخوة، وابتلاء بالفتنة، وابتلاء بالسجن، وابتلاء بالملك والقوة، وفي السورة أيضاً مشهد لابتلاء النبي يعقوب عليه السلام بفقدان ابنه، وفقدان بصره، ومشهد لصبره الطويل، وعدم تسرب اليأس إلى قلبه رغم معاناته الشديدة. وتبين السورة أن طول الابتلاء - مهما طال - لا يعني اليأس من روح الله عز وجل، والسورة حافلة أيضاً بمشاهد تتحقق فيها الرؤى؛ رؤيا صاحبَيْ يوسف عليه السلام في السجن، ورؤيا الملك، ورؤيا يوسف عليه السلام.

وتوضح السورة انطباق سنن الطبيعة البشرية وقوانين تدافع قوى الشر والخير على الأنبياء والرسل، وإن كان الوحي يوجههم ويعصمهم من الزلل، كما توضح السورة مدى تحمل الأنبياء للأحزان والابتلاء والفتن، وتقدم السورة أيضاً نموذجاً للسموِّ الأخلاقي، والعفو عند المقدرة، من طرف قائد تولى أمانة الحكم في سنوات الرخاء وسنوات الشدة، وساس البلاد والعباد بالعدل والإحسان، فأخرج البلاد من الأزمة، وأغاث الناس الذين مسهم الضر في مختلف المناطق.

وتبيِّن السورة في الجانب النفسي دور الانفعالات في تحريك السلوك، كما تبين تفاعل وتكامل مختلف الجوانب التي تكوِّن الإنسان: الأبعاد الجسمية، والروحية، والعقلية، والوجدانية، والسلوكية، وكيفية تأثير كل جانب في الجوانب الأخرى، وتأثره بها.

سورة يوسف عليه السلام من السور التي تعتمد على القصة لتعليم الناس دروساً في السلوك واستخلاص العبر من تجارب الآخرين، وسورة يوسف نموذج للآيات التي



تتناول بالعرض المفصَّل حياة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومحيطهم (النفسي – الاجتماعي)، وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الحق من متاعب وأهوال وأحزان.

وهذه السورة نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية المبنيَّة على الأنانيَّة، وخدمة المصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية، وهذه السورة أيضاً مثال واقعي يبيّن كيف أن المظلوم قد يعامل كظالم، والبريء قد يصبح متَّهماً، وأن شخصاً – مهما علا مقامه ومكانته – قد يُحكم عليه زوراً وبهتاناً، ويُودع السجنَ مع المجرمين!

وتتجلى في هذه السورة الانفعالات البشرية، والحياة الوجدانية للبشر كما هم في الواقع، دون أقنعة، وعندما يحاول بعضهم – مثل إخوة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز – اصطناع أقنعة الخير والعفاف؛ فإنها لا تلبث أن تتساقط كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف.

وليست هذه القراءة النفسية لسورة يوسف عليه السلام إلا محاولة متواضعة لفهم هذه السورة من خلال تناولٍ نفسيٍّ للأحداث وأنماط السلوك الواردة في هذه السورة، وخاصةً الجانب الوجداني للإنسان، الذي صُوِّر في هذه السورة أحسن تصوير.

ومن جهة أخرى؛ فإن هدف هذه الدراسة هو محاولة لفهم الإنسان، وخاصة الجانب الوجداني منه، ودوافعه وكيفية تأثير هذا الجانب في بقية الجوانب، والأبعاد التي تكوِّن الإنسان، سواء كانت روحية وجسمية، أم عقلية ووجدانية وسلوكية – كما جاء ذلك في القرآن الكريم – وكيفية التأثر بها أيضاً. وسيكون ما جاء في القرآن الكريم هو المنطلق لفهم الإنسان، وليس ما هو وارد في السيكولوجية الحديثة فحسب، كما لجأ إلى ذلك بعض علماء النفس المسلمين المعاصرين.

لقد كانت سورة يوسف – ولا تزال – موضوعاً للتأملات والدراسات؛ بل وللأعمال الفنية، بغضِّ النظر عن عمق هذه الدراسات وأهدافها.



ويلاحظ المتأمل في قصة يوسف عليه السلام مدى عمق الانفعالات التي تحرِّك الإنسان، وشدتها في دفعه للقيام ببعض أنماط السلوك، كما يلاحظ دور الإيمان - والجانب الروحي عموماً - في ضبط الانفعالات ومراقبتها، ودور تحكيم العقل في إعادة التوازن للجانب الانفعالي المضطرب، وفي ظهور الانفعالات الإيجابيَّة، بدلاً من الانفعالات السلبيَّة التي تطغى على سلوك الإنسان.

وباختصار؛ فإن سورة يوسف عبارةٌ عن آيات متناغمة، تتماوج فيها الانفعالات ظهوراً واختفاءً، قوةً وضعفاً، حسداً وإيثاراً، حباً وكراهيةً، حزناً وفرحاً، غضباً وسروراً. وهذه القصة نموذج أيضاً لتعليم الناس عموماً، والنشء خصوصاً؛ لتهذيب سلوكهم، وضبط انفعالاتهم، وكيفية الرجوع إلى الحق والفضيلة بعد الخطأ والرزيلة، باستعمال القصة الهادفة.

أولاً: الرؤيا:

تبدأ القصة بجلوس يوسف عليه السلام وهو غلام لم يبلغ الحُلُم - ذات صباح قرب أبيه؛ ليقصَّ عليه الرؤيا التي ظهرت لعقله الصغير - ولا شك - غريبة، لم يستطع فهم دلالتها الرمزية المعقدة، مما أثار دهشته وتعجُّبه إلى درجة لم يستطع كتمان ما رأى، كيف يستطيع الكتمان في هذه السن؟! فلجأ إلى أبيه الذي كان يشعر بأنه أقرب وأحبُّ الناس إليه، فأسرَّ له برؤياه. أليس عجيباً أن يرى طفلٌ دون البلوغ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له؟!! ما معنى أحد عشر كوكباً؟ ولماذا؟ وكيف تسجد له هذه الكواكب والشمس والقمر؟!

يجيب النبي يعقوب عليه السلام ابنه طالباً منه بكل حنان أن يكتم رؤياه، ولا يقصَّها على إخوته الذين - ولا شك - سيكيدون له كيداً إذا سمعوها؛ لما تحمله من دلالة، وهنا إشارة واضحة من طرف النبي يعقوب عليه السلام إلى أهمية الرؤيا من جهة، وعلاقتها بإخوة يوسف عليه السلام الذين كانوا كما يعلم - وهو أبوهم - يغارون منه بشدة، قد



تصل إلى حدِّ الفتك بيوسف عليه السلام كما قد يزيّن لهم الشيطان ذلك، وهنا إشارة إلى الغيرة التي تكون بين الناس؛ بل وحتى بين الإخوة، والي هذا الانفعال الذي يؤدي إلى القتل أو الإضرار بالآخر والآخرين.

لم يشأ النبي يعقوب عليه السلام أن يفسر الرؤيا لابنه يوسف عليه السلام بطريقة مباشرة، ولكنه أفهمه بأن لهذه الرؤيا علاقة بإخوته، كما أن لها علاقة بمستقبله - وكذلك كل الرؤى؛ فإنها رمزية وذات دلالة تنبُّئية (مستقبلية) وأفهمه أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم قد أكرمه بالقدرة على تأويل الأحاديث؛ أي: تعبير الرُّؤَى، كما أكرمه بمكانة عالية كما أكرم آل يعقوب من قبل؛ إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

لقد كان إخوة يوسف عليه السلام ولا شك يشعرون أن أباهم يحبُّ يوسف عليه السلام أكثر مما يحبُّهم، أو هكذا خُيِّل إليهم، وكيف لا يحبُّ يعقوبُ عليه السلام يوسفَ عليه السلام وهو ابنه الأصغر، وهو المحروم من حنان الأم؟! ومن الطبيعي أن يحبَّ الأب ابنه الأصغر أكثر من الآخرين؛ لأنه أحوج من الآخرين إلى الرعاية والحماية، ولكنَّ الأبناء الأكبر سناً يعتقدون أن ذلك يُخِلُّ بالعدل بين الأبناء؛ مما قد يؤدي إلى حصول الابن الأصغر على الاستئثار ليس بحبِّ الوالدين أو بحبَّ أحدهما فقط؛ بل الاستئثار أيضاً بما قد يجود عليه الأبوان من أموال وممتلكات، وغير ذلك من أساليب التفضيل.

كان إخوة يوسف عليه السلام يشعرون أنهم أجدر بحبِّ أبيهم من يوسف عليه السلام، كيف لا يشعرون بذلك وهم جماعة عصبة، وقوة الجماعة أكبر من قوة الفرد! الجماعة أهم من الفرد، ودورها أعظم، كيف لا وهم جماعة عشرة إخوة، من أب وأم واحدة، بينما يوسف من أم أخرى!

لقد أدت بهم الغيرة الشديدة إلى أن يحكموا على أبيهم بالضلال المبين، وإلى أن يحكموا على يوسف عليه السلام بالقتل؛ فالحكم هنا بالقتل واقع مع سبق الإصرار، ولكن



سبق الإصرار هذا صاحبته نيَّة بالتوبة بعد اقتراف الجريمة، مما يدل على تصارع الخير والشر في نفوسهم بشدة، إلى درجة دفعت أحدهم إلى أن ينصح بعدم قتل يوسف عليه السلام، والاكتفاء بإلقائه في جُبٍّ (بئر)، لا يستطيع الخروج منه إلا بمساعدة المسافرين الذين سيمرون على الجبِّ للاستسقاء، وبالتالي لإنقاذ يوسف عليه السلام!.

وكأن نوازع الشر قد خفَّت قليلاً في نفوسهم؛ فاتفقوا على عدم قتل يوسف عليه السلام، والإجماع على إلقائه في الجُبِّ، مما يعطي له فرصة النجاة من الموت. ونلاحظ هنا كيف أن فرداً في جماعة قد يغيِّر اتجاه الجماعة كلها، ويؤثر في أحكامها وقراراتها وسلوكها بقوة الحجة، وبتجنيد الجانب الوجداني الإيجابي.

ثانياً: المكيدة والمصيدة:

لا شك أن أول خطوة يقوم بها الشخص الذي يغار من الآخر هي العمل على الفصل بين المحبوبين، والإيقاع بينهما بأي شكل من الأشكال، فكيف يصل أخوة يوسف عليه السلام إلى هدفهم؟ وكيف ينفردون بيوسف عليه السلام الذي يحظى بحماية ورعاية أبيه؟ وكيف يُفصل بينهما؟ لابد من حبك مكيدة ومؤامرة، واستدراجٌ إلى المصيدة؛ فما هي المكيدة؟ وما هي المصيدة؟ لابد من ارتداء الأقنعة! لابد من اصطناع قناع الحب بدلاً من الكراهية، وقناع الحماية والرعاية بدلاً من الغيرة والحسد، وقناع الأمان بدلاً من الغدر، وقناع البراءة بدلاً من الجريمة! قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يوسف: ١١ - ١٢

فما كان جواب الأب؟

لقد عبر يعقوب عليه السلام عن حالته الوجدانية بأسلوب لبق؛ لكيلا يجرح مشاعرهم، حيث قال: ﴿ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ



عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ يوسف: ١٣ لكنه لم يُخْفِ حزنه كما لم يُخْفِ خوفه؛ حزنه من افتراق يوسف عليه السلام عنه، وخوفه، ليس من أبناءه - ظاهرياً - بل من الذئب!.

لقد حاول يعقوب عليه السلام أن يجند الجانب الوجداني السلبي لديه الحزن والخوف؛ ليصرف أبناءه عن الحصول على هدفهم يوسف عليه السلام، ولكنه لم يفلح أمام إلحاحهم، وهم الذين لبسوا كل الأقنعة لمواجهة عواطف أبيهم، مهما كانت قوية ومؤثرة، فدعوا على أنفسهم بالويل والثبور إن أكل الذئب يوسف عليه السلام! لقد كانوا يعرفون حقاً بأن الذئب لن يجرؤ على أكل يوسف عليه السلام وهم عصبة من الشبان الأشدَّاء.

ورغم ذلك، فقد عمد إخوة يوسف عليه السلام إلى تجنيد الجانب الوجداني لتضليل أبيهم؛ فجاؤوا في المساء وهم يبكون، وكأنهم في حزن على يوسف عليه السلام الذي أكله الذئب عندما ذهبوا يستَبِقُون، وتركوا يوسف عليه السلام وحده حارساً لمتاعهم! والبكاء وإن كان مظهراً من مظاهر الحزن إلا أنه لا يدل دائماً على الحزن؛ فالبكاء قد يستعمل - وخاصةً من الإناث - للاستعطاف أو التضليل، وللحصول على هدف ما بصفة عامة.

انظر إلى حجة إخوة يوسف عليه السلام للتعبير عن حزنهم وتضليل أبيهم؛ فقد جاؤوا - وهم جماعة - يبكون، فالجماعة التي تبكي أمام فرد واحد، لا يمكن ألاَّ تصدَّق، وإن كان أفرادها كاذبين في بكائهم؛ فضغط الجماعة وتأثيرها في الفرد معروف؛ ولذا فقد جاؤوا جميعاً يبكون بل يتباكون، كما جاؤوا على قميص يوسف عليه السلام بدم كذب؛ إتماماً لحبك خيوط الجريمة، وتضليل أية عملية تحقيق؛ ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن أباهم يدرك تماماً ما يجول في نفوسهم؛ فأرادوا أن يضللوه بالقول والفعل.

فقالوا: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ يوسف: ١٧ ، أما بالفعل: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨، فانظر كيف أدتَّ



الغيرة بإخوة يوسف عليه السلام إلى ارتكاب جريمة إلقاء أخيهم في الجُبِّ، والتخلص منه بأبخس الأثمان، والكذب على أبيهم. وهذا مثال واضح لكيفية تأثير الجانب الانفعالي في السلوك.

ثالثاً: تجنيد الجانب الروحي:

شعر النبي يعقوب عليه السلام بحزن شديد يمزق قلبه لما أصاب ابنه الأصغر، ورغم ذلك فقد حاول أن يتذرَّع بالصبر: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ يوسف: ١٨، ولكنَّ التذرُّع بالصبر والاستعانة بالله سبحانه وتعالى جاءا بعد أن اتهم أبناءه بأن أنفسهم قد سوَّلت لهم أمراً؛ وذلك حتى يوضِّح لهم بأن حيلتهم ومكيدتهم لم تَغِبْ عنه، ولم تستطع تضليله في واقع الأمر، وإن سكت على مضض. ويروى في هذا المعنى: أن النبي يعقوب عليه السلام قال لأبنائه: "كذبتم، لو أكله الذئب لخرق القميص"، وروي أيضاً أنه قال: "ما أحلم هذا الذئب، أكل ابني ولم يشق قميصه!"

انظر كيف نسب النبي يعقوب صفة (الحلم) للذئب، وهي صفة بشرية؛ وذلك على سبيل التعريض بسلوك أبنائه.

وصبر النبي يعقوب عليه السلام على فراق ابنه وهو يعلم تفسير الرؤيا، كما يعلم بأن الله سبحانه وتعالى سيجمعه مع يوسف عليه السلام مرة أخرى؛ ولكنَّ صبر يعقوب عليه السلام قد طال. ولولا أنه كان يعلم من الله عز وجل ما لم يكن أبناؤه يعلمون؛ لكان من الهالكين حزناً على ما أصاب يوسف عليه السلام.

قال الرازي: "فإن النبي يعقوب عليه السلام قد وقع في صراع بين الدواعي النفسانية التي تقتضي الجزع، وهي قوية، والدواعي الروحانية التي تدعو إلى الصبر والرضا. ودون





معونة الله ﷻ وتوفيقه؛ فإنه لن تحصل الغَلَبَة للصبر الجميل على الانفعالات الشديدة التي تستطيع تدمير الإنسان."[1]

سنعود مرة أخري إلى صبر النبي يعقوب عليه السلام وحزنه الشديد، وكيف أثَّر فيه حزنه إلى درجة فقدان البصر، مما يدل على تأثير الجانب الوجداني في الجانب الجسمي ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ ﴿٨٤﴾ ﴾ يوسف: ٨٤، وما قد يترتَّب على ذلك من ضعفٍ في الإحساس والإدراك! وقد حدث هذا بالنسبة للنبي يعقوب عليه السلام بسبب تغلب الجانب الوجداني فيه على الجانبين: الروحي والعقلي، وذلك لتغلُّب طبيعته البشرية عليه.

قال الزمخشري: "فإن قلتَ: كيف جاز لنبي الله ﷻ أن يبلغ به الجزع ذلك المبلَغ؟ قلتُ: الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حُمِدَ صبره، وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يَحْسُن"[2]

رابعاً: التخلص من يوسف عليه السلام:

وجاءت قافلة، وقصدت الجُبَّ للاستسقاء، وتعلَّق غلامٌ بالحبل، وأُخْرِجَ من الجُبِّ، مما أدَّى إلى تعجب الرجل - (واردهم) - ودهشته. وقد عبر عن تعجبه بالفرح؛ فقد راح يستسقي بالدلو ليغترف الماء، فإذا هو يغترف غلاماً غايةً في الحسن؛ فأيُّ بُشْرَى! ولكنَّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا للساقي بالمرصاد: "لا يمكن أن تأخذ غلامنا هذا مجاناً، ولكننا نعرض عليك شراؤه بدراهم معدودة، بثمن بخس"! فانظر كيف فرَّطوا في أخيهم، وباعوه بدراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين بفعل غيرتهم منه، ورغبتهم في التخلص منه بأي وسيلة! فهدفهم الأساسي لم يكن تجاريّاً؛ إذ لم يرغبوا في الحصول على الأموال من بَيْع يوسف عليه السلام؛ بل الهدف هو التخلص منه؛ حتى

---

[1] التفسير الكبير للرازي (18/ 432)

[2] الكشاف للزمخشري (2/ 497).





لا تنكشف أقنعتهم من جهة، ويزيلونه من طريقهم إلى قلب أبيهم من جهة أخرى، فقد كان يوسف عليه السلام حسب اعتقادهم يقف حاجزاً منيعاً دون تحقيق هدفهم، وهو الاستئثار بحبِّ أبيهم.

وهكذا نجا يوسف عليه السلام من غيابات الجُبِّ؛ وهو أول سجن يدخله في حياته، وهو غلام، ولم يؤنسه في وحشته إلا وحي الله سبحانه وتعالى إليه، يا لرحمة الله عز وجل بهذا الغلام الذي استبد به الجزع والهلع، وهو يُلقى في ظلمات الجُبِّ من طرف إخوته! ما أشد ظلم ذوي القربى! وكيف لا يكون شديداً ويوسف عليه السلام لا يعلم لماذا ألقي في ظلمات الجُبِّ، الذي -ولا شك - لو كانت فيه مياه كثيرة لغرق، ولكنَّ الجُبَّ كان زنزانة مظلمة، تحيطها المياه من كل الجهات، إلى ما فوق سرَّة الغلام، في أرض قاحلة، غاب عن ليلتها البدر!

ولكن ضياء الوحي ونوره قد غمرا يوسف عليه السلام وهو في الجُبِّ، وآنسا وحشته، وأزالا غمَّه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يوسف: ١٥، وجاءه المدد من السماء، وانتُشل من الجب، ولكنه بِيَع مثل الرقيق، واشتراه رجلٌ ذو مكانة كبيرة في مصر، وأوصى زوجته بإكرامه؛ فقد توسَّم فيه الرجل خيراً ونفعاً، إلى حدِّ رغبته في تبنِّيه، وهذا كله من تدبير الله عز وجل العليم الحكيم، الذي علم يوسف عليه السلام تأويل الأحاديث، وفَهْم الأحاديث، بينما أكثر الناس لا يحكمون إلا بالظاهر، ولا يدركون الحكمة من وراء الأحداث الكثيرة التي تقع لهم، أو تقع حواليهم!! وكيف يدركون الحكمة من وراء وقوع الأحداث؛ وهذا الإدراك يتطلَّب كثيراً من الخبرة والتجربة والتأمل!





خامساً: الابتلاء بالهوى:

وكبر يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر، وبلغ أشدَّه، وآتاه الله سبحانه وتعالى الحكمة والعلم؛ جزاءَ إحسانه وإخلاصه في عمله، وجزاءَ صفاء سريرته، ولكنَّ الأيام لا تمضي دون امتحان وابتلاء، سواء كان هذا الابتلاء حسناً أم قبيحاً في ظاهره.

وتعرَّض يوسف عليه السلام إلى ابتلاء عظيم، وقد تمثَّل في امتحان مدى ضبطه للجانب الوجداني في شخصيته: امرأةٌ ذات مالٍ وجاهٍ وجمالٍ تراوده عن نفسه، بعد أن غلَّقت الأبواب وانفردت به، وحاولت أن تجرَّه إلى الهوى بكل ما أوتيت من جاهٍ وفتنةٍ، وهمَّت به، وهمَّ بها؛ لولا أن رأى برهان ربه.

ويتلقَّى يوسف عليه السلام مرةً أخرى مدداً من السماء، وتدركه رحمة الله عز وجل؛ ليصرف عنه السوء والفحشاء، ولولا ذلك لوقع أسير الهوى؛ **والهوى: ميلٌ شديدٌ في الجانب الوجداني نحو الخضوع للشهوة، التي تثير في النفس بدورها مشاعر الحبِّ الشديد، والرغبة في التعلُّق، والحصول على اللذة.**

قال صاحب الظلال حيث وصف هذا الموقف بقوله: "وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله عز وجل في النهاية والنجاة، وما كان يوسف عليه السلام سوى بشر. نعم، إنه بشر مختار، ومن ثَمَّ لم يتجاوز همُّه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، فلما أن رأى برهان ربه عز وجل الذي نبض في ضميره وقلبه، بعد لحظة الضعف الطارئة، عاد إلى الاعتصام والتأبي"[1]

ولا شك أن رؤية يوسف عليه السلام لبرهان ربه عز وجل قد أثارت في نفسه انفعالاتٍ مضادةً للاستجابات الجنسية الطبيعية؛ وهذه الانفعالات المضادة هي التقزز والاشمئزاز والنفور مما كان قد هَمَّ به، وقد دفعت به هذه المشاعر إلى الهروب؛ خوفاً من الوقوع في الفتنة، والهروب – سواء كان جسمياً حركياً أم نفسياً – وسيلةٌ للتخلص من

[1] في ظلال القرآن (4/ 1981- 1982).



المواقف المحرجة والشديدة، ولكن سيدة البيت لم تبرد، ولم تهدأ انفعالاتها، ولم تستطع ضبط هواها؛ فجرت وراءه لمنعه من الإفلات، ومزَّقت قميصه من دُبُرٍ!

وفي هذه اللحظة الحرجة، تحدث مفاجأة شديدة... لقد وجد يوسف عليه السلام وامرأة العزيز نفسيهما - وجهاً لوجه - مع سيد البيت، وعلى الرغم من المفاجأة؛ فإن لسان امرأة العزيز لم يلجم، وراح يتهم يوسف عليه السلام، ويحكم عليه بالسجن أو العذاب الأليم؛ ولكنَّ يوسف عليه السلام أيضاً لم تخرسه المفاجأة، وكيف تخرسه وهو بريء! فدافع عن براءته، وألقى بالتهمة على صاحبة البيت التي راودته عن نفسه.

وبدأ صاحب البيت يتفحص الوجوه، محاولاً إدراك الموقف المحرج؛ لاتخاذ قرار مناسب، وإصدار الحكم، فكيف يصدر حكماً وأمامه زوجته وغلامه، كلٌّ منهما يتهم الآخر؟! وجاء الحل من شاهدٍ من أهلها، الذي حاول أن يصدر الحكم بناءً على استعمال الذكاء، والاستدلال بقرائن غير أقوال المتخاصمين، ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يوسف: ٢٦ – ٢٨

أن هذه الشهادة الذكية قد أنقذت يوسف عليه السلام من غضب سيده؛ الذي - وإن حاول ضبط أعصابه - لم يتورع عن توجيه التهمة إلى زوجته؛ وهو الخبير بمكائد النساء؛ فوصف كيدهن بأنه كيدٌ عظيم!! وهذا وصفٌ بليغٌ، حاول فيه عزيز مصر تعميمه على جميع النساء.

ورغم إدراك صاحب البيت لخيانة زوجته، فإنه لم يحاول إلا توجيه لوم بسيط إليها، طالباً منها الاستغفار من ذنبها، فهل كان ذلك الرجل داهيةً أم ديوثاً؟! وهل كانت



زوجته ذات سطوة تمنعه من رفع صوته في وجهها؟! ومهما كان الأمر؛ فإن غضب الرجل لم يؤدِّ به إلى اتخاذ أيِّ قرار حازم ضد زوجته، ولربما التبس عليه الأمر، واختلطت انفعالاته، فشعر بالحزن أكثر مما شعر بالغضب، ويختلف - بالطبع - رد الفعل الناجم عن الحزن عن رد الفعل الناجم عن الغضب.

قال الصابوني: "أن العزيز كان قليل الغيرة؛ حيث لم ينتقم من زوجته الخائنة؛ لأنه كان سهلاً لين العريكة"[1]

قد يكون هذا التفسير لسلوك العزيز مقبولاً في إطار البيئة العربية والإسلامية، إلا أن هذا التفسير قد لا يكون مقبولاً في إطار الثقافات الأخرى، علماً بأن مركز العزيز يمنعه من تعريض شرفه وسمعته إلى تشويه أقبح، إن هو أفشى خيانة زوجته، كما أنه قد تكون للعزيز أسباب أخرى منعته من اللجوء إلى الانتقام من زوجته؛ قد يكون منها مثلاً حبه الشديد لها، أو عدم اقتناعه بخيانتها، كما قد يرجع ذلك إلى مكانة زوجته، وجاهها، وقربها من مراكز السلطة.

وفي الواقع؛ فإننا لا ندري من خلال النص ما الذي حدث بالضبط بين صاحب البيت وصاحبته، ولكن الفضيحة تجاوزت حدود البيت، وأصبحت قصة امرأة العزيز مع غلامها حديثاً تلوكه ألسنة الناس، وخاصةً نسوة المدينة، اللاتي رُحْنَ يتحدثْنَ عنها، ويصدرْنَ اللوم على سلوكها، ويصفْنَها بأنها في ضلالٍ مبينٍ، وكيف لا يوجهن إليها العتاب وهي امرأة عزيز مصر؟! وكيف لا تكون في ضلالٍ مبينٍ وقد شُغِفَت بحبِّ غلامها حبّاً وصل إلى سويداء قلبها، وسيطر على جوانحها سيطرةً شديدةً، وفقدت صوابها واتِّزانها، وراحت تراوده عن نفسه؟! فكيف سمحت لها نفسها بالتنازل؛ لتقع في حب غلامها وتخون زوجها؟! لقد كان سلوكها مصدراً لإثارة انفعالات التعجب والتقزز والغضب عند نساء المدينة؛ فأصدرْنَ عليها حكماً

[1] صفوة التفاسير (2/ 44).





قاسياً، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ يوسف: ٣٠، وفي هذه الآية إشارة إلى دور الانفعالات أو الجانب الوجداني في تشكيل الاتجاهات والمواقف.

فكيف كان ردُّ فعل امرأة العزيز على حكم نساء المدينة ومواقفهنَّ؟ لقد اعتبرت كلامهنَّ وحكمهنَّ مكراً للنيل من قيمتها ومن شخصيتها؛ فمكرت بعد تفكُّر وتدبُّر، ولا شك أن تفكيرها قد شابه غضبٌ شديدٌ، وحزنٌ مكتومٌ من حكم النساء ضد سلوكها مع غلامها، فأرادت أن تدافع عن نفسها، وأن تقدِّم الدليل على صعوبة مقاومة هواها. ولتحقق هدفها؛ عمدت إلى تعريض النسوة إلى امتحان سلوكهنَّ؛ فدعتهنَّ لجلسة ترفيهية، تقدَّم فيها المشروبات والفواكه، ثم فاجأتهنَّ بإخراج الغلام عليهنَّ؛ فحدثت المفاجأة فعلاً، وحدثت الدهشة من رؤية جماله وبهائه! وشلَّت الدهشة ذهن النساء!

وقد أدَّت بهنَّ دهشتهنَّ إلى نسيان أنفسهنَّ، وما كنَّ يقمْنَ به من تقطيع الفاكهة؛ فقطَّعنَ أيديهنَّ بدون وعي منهنَّ، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ يوسف: ٣١، يقال: إن يوسف عليه السلام كان آيةً في الجمال والبهاء؛ ففُتنت النساء به، كما فُتنت به امرأة العزيز من قبل، وقد أدَّت بهنَّ دهشتهنَّ انفعالهنَّ الشديد إلى تقطيع أيديهنَّ دون الشعور بالألم، وهذا دليل على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي؛ فالانفعال الشديد كالغضب أو الحزن أو الدهشة قد يؤدي إلى إيقاع الأذى بالجسم مثلاً، دون الشعور بالألم في تلك اللحظة.

وبعد الدهشة الكبيرة التي صدمت نسوة المدينة إلى حدِّ تقطيع أيديهنَّ بالسكاكين، راحت امرأة العزيز تبرِّر سلوكها مع غلامها، بالدفاع عن نفسها أمام ضيفاتها، ولم تكتفِ امرأة العزيز بذلك؛ بل اعترفت أن الغلام قد استعصم، مما زاد من غضبها



عليه، مهدِّدةً إيَّاه بالسجن أمام ضيفاتها، إن لم يفعل ما تأمره به سيدته، حتى يذوق في السجن طعم الهوان والمذلَّة والصَّغَار.

والتهديد بالسجن والإهانة سلاحٌ يستعمله أرباب السلطة المستبدُّون لإرهاب أعدائهم، وكسر مقاومتهم، ناسينَ - أو متناسين - أن حرمان أشخاصٍ من حريتهم معناه إثارة انفعالات قوية في نفوسهم، قد تصل إلى عكس ما كان يرجوه السجَّان ويبتغيه؛ ذلك أن السجن في حدِّ ذاته مدرسة للتأمل والدراسة والتعلم والإبداع لأصحاب الهِمَم والعقول الكبيرة، كما قد يكون مدرسةً للتخلُّص مما هو أسوأ من السجن!

وهذا ما جعل يوسف عليه السلام يقول بأن السجن أحبُّ إليه مما يدعونه إليه من الهوى واللذة، رغم حلاوة هذه الأخيرة، وسهولة تقبُّلها من النفوس؛ وذلك عكس ما هو متوقع في السجن من قيود وحرمان، وآلام نفسية وجسمية.

وبالنسبة ليوسف عليه السلام؛ فإن السجن منجاةٌ من كيد النساء وفتنتهنَّ، التي يعلم يقيناً بأنه من الصعب عليه مقاومتها إلى الأبد؛ فهو قبل كل شيء إنسان؛ وشابٌّ يافعٌ قد بلغ أشدَّه، محاطٌ بكل أسباب الفتنة التي لا تفتقر إليها النساء من حوله، وهي الجمال، والسلطة، والسطوة، والوقاحة، وقلة الحياء، ولكنَّ يوسف عليه السلام يدرك تماماً مصيره إذا استسلم لإغراء وفتنة النساء، ولهوى نفسه؛ فالمصير أن يوصم بالجهل، ويا له من عار أن يوصف بالجهل وهو الذي آتاه الله عز وجل حكماً وعلماً، وهو الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه من المحسنين، إن هذا المصير يُشعر يوسف عليه السلام بتفاهة مكانته عند الله عز وجل وانحطاطها، كما يُشعره بعدم احترام الذات؛ بل واحتقارها، مما يؤدي أيضاً إلى فقدان الثقة بنفسه.



سادساً: النبي السجين:

رغم أن اختيار السجن قد يضع يوسف عليه السلام في موقف يكون فيه من الصاغرين – في أعين الناس على الأقل – إلا أن ذلك يحميه من الفتنة وأسبابها، كما أنه يرفع مقامه عند الله سبحانه وتعالى وقد استجاب الله عز وجل لدعائه، وأنقذه من تسلُّط الهوى وسلطة المال والجاه؛ فصرف عنه كيد النساء؛ إذ حُكم عليه بالسجن حكماً احتياطيّاً.

لم يكن يوسف عليه السلام في السجن وحيداً كما كان في الجُبِّ؛ بل دخل معه السجن فتيان، ولا شك أنه قد نشأت بين الفتيان الثلاثة ألفة؛ جعلت كل واحد منهم يروي قصة سجنه، ويجد العزاء من خلال الاستماع إلى قصتَيْ زميليه الآخرين.

وتمضي الأيام ثقيلة في السجن، في انتظار الحكم النهائي، وفي صباح أحد الأيام، يقبل الفتيان على يوسف عليه السلام ليرويا ما رأيا في المنام، ويسألانه تأويل ما بدا لهما غريباً، وذلك لما توسَّما فيه من ذكاء وحسن خُلُق، ويبدو أن تأويل الأحلام شيءٌ كان يستأثر باهتمام الناس آنذاك استئثاراً كبيراً؛ إذ بعد رؤيا يوسف عليه السلام التي قصَّها لأبيه، تأتي في هذه السورة رؤيا الفتيان، ثم ستصادفنا في نفس السورة رؤيا ملك مصر، وهذا مما يدل على أهمية الرُّؤَى في فهم السلوك والتنبُّؤ به، ولكن عملية تعبير الرُّؤَى تحتاج إلى فهمٍ دقيقٍ، وذكاءٍ عالٍ؛ لما تحمله من رموز تبدو لغير الأذكياء طلاسم، يصعب فهمها وإدراك مراميها، ناهيك عن التنبُّؤ بما سيقع بناءً على تحليلها وتفسيرها.

ويتَّضح من سورة يوسف عليه السلام أن الرُّؤَى مصدرٌ للتنبؤ بالسلوك الذي قد يقع في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد، وذلك من خلال دراسة الرؤى الثلاث الواردة في هذه السورة، وهي: رؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا الفتيان، ورؤيا الملك. ومما لا شك فيه أن الرؤيا – كما يُفهم من هذه السورة – لا تختصُّ بالأنبياء والمؤمنين فقط، كما لا يُشترط أن يفهم صاحبها أبعادها ومراميها قبل وقوعها، مما يستدعي الاستعانة





بذوي الاختصاص في هذا المجال، مما يدل أيضاً على أن تعبير الرؤيا قد يصبح علماً مستقلاًّ عن بقية العلوم، له موضوعه ومنهجه، وإن كان يرتبط بمواضيع أخرى، مثل علم النفس، وعلم الأعصاب، والفسيولوجيا، وعلم الاجتماع الثقافي، الخ.

فماذا رأي الفتيان في المنام، وهما في السجن ينتظران مصيريهما؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾ يوسف: ٣٦، لم يتسرع يوسف عليه السلام في إعطاء الجواب، وإنْ طمأنهما من البداية بأنه على دراية بعلم التأويل، الذي علمه الله سبحانه وتعالى إيَّاه، وأنه سيعبِّر لهما رؤيَيْهما، فراح أولاً يبيِّن لهما كيف لم يركن إلى أسلوب حياة الكافرين، الذين لا يؤمنون بالله عز وجل واليوم الآخر، واتَّبع ملة آبائه الأنبياء: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، وقرر يوسف عليه السلام أن الإيمان بالله عز وجل، وعدم الشرك به من فضل الله سبحانه وتعالى عليه، وعلي آبائه، وعلي الناس، ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون، كما أكَّد على أن أكثر الناس لا يعلمون؛ لأنهم يعبدون أرباباً متفرقين، بدلاً من عبادة الله عز وجل الواحد القهَّار.

وبعد هذا التذكير الذي قام به يوسف عليه السلام لتحضير نفسيَّة الفتيان، بدأ في تأويل رؤيَيْهما؛ حيث قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ ﴾ يوسف: ٤١، فانظر إلى الأسلوب المباشر في تفسير الرؤيا، بعد التحضير النفسي الذي قام به قبل ذلك، وانظر إلى الاختصار الشديد والواضح جداً في عملية التأويل، وانظر إلى المعاني الرمزية في الرؤيا، وكيف استطاع يوسف عليه السلام





بذكائه ونفاذ بصيرته، أن يدرك – بإلهام من الله ﷻ القيمة التنبُّئيَّة للرؤيا، بناءً على فهمه لموقفَيْ صاحبَيْه في السجن، وبناءً على ما كانا يشعران به ويفكران فيه، وإيماناً منه بنجاة أحدهما؛ طلب منه يوسف عليه السلام أن يتذكره بعد خروجه، وأن يذكره عند ربه، لعله يعيد النظر في الحكم الصادر ضده ظلماً وبهتاناً، ولكن الفتى انشغل بأمور دنياه، ونسي تماماً ما وصَّاه به يوسف عليه السلام، ولم يتذكر التماس يوسف عليه السلام بأن يذكر قصته عند الملك، إلا بعد أن سمع رؤيا الملك، وقد مضت قبل ذلك بضع سنين، قضاها يوسف عليه السلام في السجن صابراً محتسباً، ولك أن تتصور مختلف الانفعالات والأفكار التي جالت بذهن يوسف عليه السلام وهو يقاسي وحيداً آلام السجن، بعيداً عن أهله ووطنه، ولكنْ لم يكن يوسف عليه السلام وحيداً في السجن؛ بل كان الوحي معه، وكان يدرك تماماً مغزى الرؤيا التي رآها؛ فكان ذلك عزاءه ومحطَّ آماله، فلم ييئس، ولم يقنط، وبقي ينتظر الفرج.

سابعاً: رؤيا الملك:

ويشاء الله ﷻ أن يُرى الملك رؤيا لم يستطع فهم مغزاها؛ فلجأ إلى حاشيته، يقصُّ رؤياه، لعله يجد لها تفسيراً: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يوسف: ٤٣، فكيف أجابه الملأ الذين لم يفهموا معاني الرموز – (البقرات والسنبلات والسنين) – في الرؤيا؟

﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يوسف: ٤٤، قد يبدو من هذا الجواب أن تأويل الأحلام لم يكنْ شيئاً معروفاً – كعلم – عند حاشية الملك، كما قد يرجع إلى أن أغلب الناس حينئذ – بل إلى الآن – لم يكونوا يعتقدون بأن للأحلام معاني ودلالات، وقدرة على التنبُّؤ بما سيقع مستقبلاً؛ بل

يعتبرون الأحلام عبارة عن أضغاث، أي: خيالات وأوهام لا معنى لها، وفي هذا الموقف تجاهل - إن لم يكن جهلاً - لأحد مصادر المعرفة، التي قد تُفيد في فهم السلوك وغيره من الظواهر، إن بنيت على أساس من العلم المنهجي، بدلاً من "التخريف والتجديف" والادعاءات الكاذبة! ورغم هذا التجاهل والجهل، فقد اعترفت حاشية الملك بأنه لا علم لها بتأويل الأحلام؛ وفي هذا الاعتراف ما قد يدل على التواضع وعدم الادِّعاء، وإن كان إقراراً بجهلهم.

وجاء دور الذاكرة ليؤدي واجبه؛ فقد تذكر الذي كان في السجن مع يوسف عليه السلام صاحبَ سجنه، وتذكر قدرته على تأويل الأحلام؛ فطلب الترخيص له، ليسأل يوسف عليه السلام عن تعبير رؤيا الملك، وأسرع الخطى إلى السجن، وما التقى بيوسف عليه السلام حتى راح يستفتيه في رؤيا الملك ودلالتها، قائلاً: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يوسف: ٤٦، فكان جواب يوسف عليه السلام بعد أن أدرك المغزى الرمزي للرؤيا - عن السؤال مباشرةً، حيث قال: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يوسف: ٤٧ - ٤٩

ونلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام لم يكن أسير انفعالاته؛ إذ راح يقدم الجواب عن طيب خاطر، ولم يحاول استغلال الموقف.



ولا شك أن الملك قد أعجب إعجاباً شديداً بتعبير يوسف عليه السلام لرؤياه؛ فأمر بإحضاره، ولكن يوسف عليه السلام لم يمتثل هذه المرة لطلب الملك، بل ردَّ الرسول رداً جميلاً، طالباً منه أن يرجع إلى الملك، ويسأله عن النسوة اللاتي قطَّعنَ أيديهنَّ، وكِدْنَ له؛ لوضعه في السجن، حيث لبث بضع سنين، وفي هذا تعبير عن غضب يوسف عليه السلام على السلطة الحاكمة، التي لم تحاول تحرِّي الحقيقة وإنصاف المظلومين، وكان من أهداف يوسف عليه السلام من وراء ذلك: أن يدفع الملك ليتحرَّى بنفسه ما حدث، حتى تنجلي حقيقة الموقف، وينكشف المجرم، ويبرِّئ يوسف عليه السلام ذمَّته.

ثامناً: محاكمة النساء:

عندما سأل الملك نسوة المدينة عن مراودتهنَّ ليوسف عليه السلام، ومن هو المسئول عن ذلك، اعترفت النساء ببراءة يوسف عليه السلام، وعند هذا الحدِّ لم يكن هناك أمام امرأة العزيز إلا الاعتراف والإقرار بما قامت به؛ فقالت: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ يوسف: ٥١، لقد اعترفت امرأة العزيز؛ فبرَّأت ساحة يوسف عليه السلام، وشهدت بصدقه، وبالتالي كذبها، وحمَّلت نفسه مسؤولية ما حدث، مشيرةً بصراحة إلى نفسها التي أمرتها بالسوء؛ أي: بالهوى والخضوع إلى نداءات اللذة، والتعسُّف في استخدام السلطة، ولا شك أن الانفعالات التي سيطرت على امرأة العزيز في هذه اللحظات قد تمثلت في الشعور بالإثم والندم على ما بدر منها، والغضب على سلوكها، مع مسحةٍ من الحزن.

ومما يُستخلص من قول امرأة العزيز: هو أن النفس أمَّارةٌ بالسوء أصلاً، أي: أن نوازع الشر جزء من الطبيعة البشرية، وهذه النوازع - حسب قولها - هي الغالبة عليه، ولا ينجو منها إلا مَنْ رحمه الله عز وجل، وتداركه بغفرانه، مما يدل على أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى واستدرار رحمته منجاةٌ من الوقوع فريسةً سهلةً لنوازع الشر؛ الشيء الذي



يكوِّن في النفس مقاومةً روحيةً لهذه النوازع، التي وإن كان لا يقضي عليها تماما، إلا أنها تضعف بازدياد الإيمان، واستبدال نوازع الشر بنوازع الخير والرحمة والمغفرة، ويرينا هذا الإدراك مثالاً لكيفية تأثير الجانب الروحي في الجانب الوجداني وفي السلوك، كما يرينا إدراك امرأة العزيز لعدم فلاح مسعى الخائنين وكيدهم، رغم تجنيدهم القوي للانفعالات السلبيَّة الهدَّامة، مثل الغضب والغيرة والحسد.

أما الملك الذي قاضي النساء، فقد اقتنع تماماً ببراءة يوسف عليه السلام، ولم يخبرنا القرآن الكريم كيف حكم على امرأة العزيز؛ بل يخبرنا أن الملك اتخذ قراراً سريعاً بإحضار يوسف عليه السلام، وجعله من المقربين. وفي هذا القرار إنصافٌ ليوسف عليه السلام من جهة، وتعويضٌ لما تعرَّض له من ظلم واضطهاد من جهة أخرى، خاصةً وأن الملك أراد أن يستخلصه لنفسه، مما أشعر يوسف عليه السلام بمودَّة وتقدير الملك له، كيف لا، وقد قال له الملك: ﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف: ٥٤

قال الزمخشري عن قتادة: "أن هذا دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، إذا علم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله عز وجل ودفع الظلم إلا بذلك"[1]

تعليق على الرؤى الثلاث في سورة يوسف:

1. الملاحَظ أن كل الرؤى رمزية في مضمونها وأشخاصها، ويتطلَّب فهمها تأويل الرموز الواردة فيها.

2. أن للرؤى دلالات ثقافية مرتبطة بالبيئة الجغرافية؛ وبدون فهم الثقافة السائدة؛ لا يمكن فهم وتأويل الرؤيا، فالرؤيا الأولي: ليوسف عليه السلام تتعلق برموز فلكية الشمس، والقمر، والكواكب، وهي رمز للعلوّ، وتتضمن تلك الرؤيا موضوع السجود؛ والسجود لا يكون إلا لعظيم (الله، الملك). والرؤيا الثانية: لأصحاب

[1] الكشاف للزمخشري (2/ 482).







يوسف عليه السلام في السجن، تتضمن (الخمر، والخبز، والطير). والرؤيا الثالثة: (للملك) ذات مضمون زراعي (سنبلات، وبقرات).

3. أن الرُّؤَى ذات قيمة تنبُّئيَّة؛ أي: القدرة على استكشاف ما سيجري في المستقبل، سواء كان هذا المستقبل قريباً أم بعيداً.

4. أن الرُّؤَى قد لا تتحقق إلا بعد مرور سنوات عديدة، كما هو الشأن في رؤيا يوسف عليه السلام.

5. أن الرُّؤَى تؤثر في الجانب الوجداني في الإنسان، فغالباً ما تحيره وتقلقه، وقد تدهشه وتحزنه، كما قد تسرُّه!! فالرؤيا قد تحمل بُشْرَى كما قد تحمل نذيراً؛ وبالتالي فهي تؤثر في أبعاد الإنسان: الوجدانية، والعقلية، والسلوكية.

6. ليس كل ما يراه الإنسان في الأحلام عبارة عن رُؤَى؛ فقد يكون بعض ما يراه الإنسان في المنام أضغاث أحلام، وبالرغم من ذلك؛ فإن لهذه الأضغاث معاني وأهدافاً، ولكنها لا تحمل بالضرورة قيمة تنبُّئيَّة.

7. قد تدل الأحلام على الصراعات، وإشباع الرغبات التي لا يستطيع الفرد إشباعها في اليقظة، ولكن الرؤيا غير ذلك؛ إذ أن قيمتها تتمثل في التنبُّؤ أساساً.

8. تأتي الرؤيا واضحةً، وإن كانت بصفة رمزية، وقد تتكرر نفس الرؤيا عدة مرات، بينما تأتي الأحلام غير واضحة، ويقع فيها خلط، ولذا تسمَّى بالأضغاث؛ فالأضغاث جمع ضِغْث، وهي حزمة من الحشيش التي تخلط فيها الأعشاب الطرية بالأعشاب اليابسة؛ وكذلك تكون الأحلام مختلطة في أغلب الأحيان.

تاسعاً: يوسف عليه السلام القائد:

بالإضافة إلى ما اتصَّف به يوسف عليه السلام من حسن الخَلْق والخُلُق، وما آتاه الله عز وجل من العلم والحكمة؛ فقد برزت صفة القيادة في شخصيته؛ إذ بمجرد ما شعر بتقريب





الملك له، ورغبة هذا الأخير في تحميله مسؤوليةً ما، ومكافأته على صبره، وعلى ما أبداه من الحكمة والمعرفة، تبرَّع بعرض خدماته لتحمُّل مسؤولية الخزينة والاقتصاد.

لقد أدرك يوسف عليه السلام أن البلاد ستعرف سبع سنين من الرخاء، تعقبها أزمةٌ اقتصاديةٌ تدوم سبع سنوات أيضاً، يسودها القحط والجفاف والمجاعة، مما يستدعي قيادةً تتميز بالأمانة والعلم؛ وهاتان خاصَّتان أساسيتان في القيادة، وخاصةً في المجال الاقتصادي، أمانةٌ وعلمٌ خلال سنوات الرخاء؛ حتى لا يحدث الإسراف والتبذير، والمحاباة وخدمة المصالح الشخصية، وعلمٌ بفنون التسيير، والتقويم، والتخطيط، والتنظيم، والتنفيذ، والإنتاج، وكذلك الأمانة والعلم خلال سنوات الأزمة؛ حتى يتحمَّل الناس عواقبها الوخيمة بالعدل، وتحقيق حسن التوزيع، وترشيد الاستهلاك، والتخطيط للخروج من الأزمة بتجنيد القوى العاملة إلى أقصى الحدود، وتشجيع الناس على الإنتاج أكثر من الاستهلاك؛ لتحقيق النمو الاقتصادي.

وهكذا مُكِّن ليوسف عليه السلام في الأرض؛ فأصبح يتبوَّأ منصباً رفيعاً، تحيطه العناية الإلهية في جهوده القائمة على إتقان العمل والإخلاص فيه، والسعي حثيثاً لتحسين فنون الزراعة، وما يرتبط بها من سقي، وتعهُّد، ورعاية، وحصاد، وجمع، وتخزين، وتوزيع. ولابد أن يكون الإنتاج في سنوات الرخاء أعلى من الاستهلاك، ولابد أن يكون احتياطي الموارد الغذائية كبيراً، ومبنيّاً على حسابات دقيقة؛ بحيث يغطي هذا الاحتياطي حاجة المجتمع خلال سنوات الأزمة.

ومسَّ القحط والجدب مصر والمناطق الأخرى، وبدأت القوافل تتوافد على خزينة الملك للحصول على المواد الغذائية - (الحبوب خاصةً) - التي تولى يوسف عليه السلام الإشراف على توزيعها، وجاء أخوته ضمن مَنْ جاء، فعرفهم، ولكنْ لم يعرفوه، وكيف يعرفونه وهم قد تخلصوا منه، وباعوه بثمن بخس، وتوقعوا له مصيراً سيئاً؟! ولا شك أن يوسف عليه السلام قد اندهش لرؤية إخوته، ولكنه لم يُبْدِ دهشته؛ بل ونجح في





التحكم في انفعالاته، وضبط سلوكه كما ينبغي؛ فوفَّاهم الكيلَ، وعاملهم بإحسانٍ، وأنزلهم منزلاً حسناً.

ويتطلب منَّا هذا السلوك وقفة تأمل؛ لنرى أن يوسف عليه السلام الذي أُلقي في الجُبِّ، ويوسف عليه السلام الذي تعرض للفتنة، ويوسف عليه السلام الذي سُجن بضع سنين، ويوسف عليه السلام الذي تولى خزائن الأرض، قد أُرشد بالوحي خلال كل هذه المراحل من جهة، وأُنضج بالتجارب والخبرات المتعددة والمثيرة من جهة أخرى، وهذا ما جعل سلوكه مع إخوته وغيرهم يتَّسم بالنضج، والرُّشد، والاتِّزان الوجداني.

بالإضافة إلى هذا؛ فإن ليوسف عليه السلام هدفاً هاماً، وهو الإتيان بأخيه الشقيق إلى مصر؛ لكي يراه ويطمئن على أبيه. قد استعمل يوسف عليه السلام الترغيب والترهيب للحصول على هذا الهدف، فقال: ﴿ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يوسف: ٥٩، ولا يخفى أن استعمال الترغيب أهمُّ من استعمال الترهيب للحصول على الهدف؛ ولذلك فقد عمد يوسف عليه السلام أولاً إلى استقبال إخوته استقبالاً جيداً، وإنزالهم منزلاً طيباً، وجهَّزهم أحسن تجهيز.

وبعد ذلك عمد إلى الترهيب، وذلك بتهديدهم بعدم الكيل لهم، وعدم الاقتراب منه إذا لم يحضروا أخاهم من أبيهم المرة القادمة، وقد نجحت خطة يوسف عليه السلام في إقناع إخوته بضرورة إحضار أخيهم، وزيادةً في الضغط على إخوته، فقد أمر بإرجاع بضاعتهم لكي يستخدموها كحجة عند أبيهم حتى يقتنع بضرورة إرسال شقيق يوسف عليه السلام معهم بالفعل؛ فقد قالوا لأبيهم بأنهم قد مُنعوا من الكيل؛ إلا أن يرسل معهم أخاهم، واعدينَ بأنهم سيحمونه: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يوسف: ٦٣، ولكنَّ أباهم لم يصدِّق وعدهم، وكيف يصدِّقهم وقد وعدوه من





قبل حمايةَ يوسف عليه السلام، ثم ادَّعوا بأن الذئب قد أكله؟! وطافت ذكرى يوسف عليه السلام الحزينة بذهن النبي يعقوب عليه السلام فذكَّر نفسه وأبناءه بأن الله سبحانه وتعالى هو: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يوسف: ٦٤، وعندما فتح الأبناء متاعهم اكتشفوا أن بضاعتهم قد رُدَّت إليهم مع الكيل؛ فأصيبوا بالدهشة، وبشيءٍ من الغضب والحزن على ذلك؛ فراحوا يستخدمون ردَّ البضاعة كورقة ضغط نفسيٍّ على أبيهم؛ فقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ يوسف: ٦٥، لكنَّ أباهم الذي هزته ذكرى يوسف عليه السلام الحزينة لم يقتنع بسهولة، وهذا أمر طَبَعِيٌّ؛ لأن تغيير اتجاه شخص ما نحو أشخاص آخرين كان قد اتخذ موقفاً سلبيًّا ضدهم، يتطلب جهداً كبيراً في التأثير على جوانبه العقلية والوجدانية مجتمعة، وبالفعل؛ فإن أباهم لم يقتنع حتى أعطوه عهداً ومَوْثِقاً من الله عز وجل بحماية أخيهم، وعدم التفريط فيه، وأَشْهَدَهم الله سبحانه وتعالى على ما قالوا.

وكشأن الآباء المهتمين بأبنائهم؛ راح النبي يعقوب عليه السلام يوصي أبناءه بعدم الدخول من باب واحد عند وصولهم إلى مصر؛ بل ينبغي لهم الدخول من أبواب متفرقة، فلماذا أوصاهم أبوهم بذلك؟ وما هي الحاجة التي أخفاها يعقوب في نفسه؟

يقال إن عدد إخوة يوسف عليه السلام هو أحد عشر أخاً، وتفسَّر نصيحة أبيهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة بخوفه عليهم من الإصابة بعيون الحاسدين، ورغم دخول أبناء يعقوب عليه السلام من أبواب متفرقة، "إلا أنهم أصابهم ما أصابهم من تفرُّق وافتضاح".

قال الزمخشري عن الإصابة بالعين: "إنه يجوز أن يُحْدِثَ اللّهُ عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصاناً فيه وخللاً من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاءً من





الله ﷻ، وامتحاناً لعباده؛ ليتميز المحقِّقون من أهل الحشو[1]؛ فيقول المحقِّق: هذا فعل الله ﷻ، ويقول الحَشَوِيُّ: هو أثر العين، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣١﴾﴾ المدثر: ٣١، وعن النبي ﷺ أنه كان يعوِّذ الحسنَ والحسينَ، فيقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل عين لامَّة، ومن كل شيطان وهامَّة"[2][3]

ورغم احتياط النبي يعقوب عليه السلام بهدف حماية أبنائه، فقد كان يعلم تماماً بأن ذلك الاحتياط الدخول من أبواب متفرقة لن يغني عنهم من الله ﷻ شيئاً؛ فلله عز وجل الحكم، وعليه فليتوكل المتوكلون.

وهنا حكمةٌ بالغةٌ تتجلى في إيمان يعقوب عليه السلام بضرورة التوكل على الله ﷻ واعتقاده الجازم بأن الحكم بيده ﷻ ورغم اعتقاده الجازم، فإن ذلك لم يمنعه من اتخاذ الأسباب الضرورية، واعتماد الاحتياطات المناسبة لحماية أبنائه مما قد يصيبهم إن دخلوا من باب واحد، وفي هذا الموقف تميزٌ واضحٌ بين التوكل والتواكل.

لم تكن نصيحة النبي يعقوب عليه السلام لأبنائه صادرةً من قلب أبٍ رحيمٍ شفيقٍ على أبنائه فحسب؛ بل إن نصيحته قائمةٌ على علمٍ أيضاً، وهذا العلم مما آتاه الله ﷻ إيَّاه، حيث وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يوسف: ٦٨، **وتشير الآية الكريمة إلى أن هذا العلم مما يجهله أكثر الناس، ولذلك لم يخبر أبناءه لماذا ينبغي لهم الدخول من أبواب**

---

[1] قوله "ليتميز المحققون من أهل الحشو" إن كان مراده أهل السنة، فهم يقولون: تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات، كربط النار بالإحراق، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله ﷻ هو الفاعل في الحقيقة.

[2] سنن ابن ماجه (2/ 1164)، سنن الترمذي (4/ 396).

[3] الكشاف للزمخشري (2/ 488).



متفرقة؛ بل كتم حاجته من وراء ذلك، ولاشك أن الأبناء قد قبلوا نصيحة أبيهم، وعملوا بها؛ ففرح لذلك، وانشرح صدره.

وأقبل إخوة يوسف عليه السلام مع أخيهم غير الشقيق؛ فانفرد يوسف عليه السلام بأخيه الشقيق، فكشف له عن شخصيته الحقيقية، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ يوسف: ٦٩، لقد أراد يوسف عليه السلام أن يدخل السرور إلى قلب أخيه، وطرد الحزن منه جرَّاء ما كان يرتكبه إخوته الآخرون من حماقات، وكانت لحظاتٍ رائعةً، سادتها الدهشة والمفاجأة السارَّة، وفرح اللقاء بعد أحزان الفراق. ولكم أن تتصوروا سرور أخوَيْن شقيقَيْن التقيا بعد عدة سنوات من الحزن وانعدام بارقة أيِّ أمل، ويشاء الله عز وجل ويمهد الأسباب للقاء الأخوَيْن في مكانٍ لم يخطر لهما من قبل على بال، ولكم أن تتخيلوا دهشة شقيق يوسف عليه السلام عندما يكشف له شقيقه عن شخصيته، وكيف لا يندهش وقد أُخبر من طرف إخوته أن الذئب قد افترس يوسف عليه السلام، وجاؤوا بقميصه ملطخاً بالدماء؟! كيف لا يندهش، وقد رأى بأمِّ عينيه دماً على قميص شقيقه؟! والآن يرى بأم عينيه يوسفَ عليه السلام وقد تبوَّأ مكانةً عظيمةً في قصر الملك؟! كيف لا يفاجأ، بينما لم يكن طموحه في مجيئه مع إخوته إلى مصر يتعدى الحصول على كيل بعير من الحبوب، والرجوع به إلى أبيه سالماً مع إخوته؟!

وتتوالى المفاجآت، حيث ينادي المنادي إخوة يوسف عليه السلام، ويتهمهم بالسرقة، فيصابون بالدهشة والتعجب، فيقبلون على المنادي يستفسرون عمَّا ضاع، ويتعجب إخوة يوسف عليه السلام أكثر عندما يسمعون أن صِوَاع الملك قد سُرق، وأنه قد رُصدت مكافأةٌ لمنْ يجده، وأن المنادي متحمسٌ جداً للحصول على المكافأة، ونلاحظ هنا قوة الدَّافعية عند المنادي، وتأثيرها في سلوكه بفعل المكافأة المغرية (حمل بعير). وتحت تأثير المفاجأة الشديدة والاتهام القوي، راح إخوة يوسف عليه السلام يحلفون لدفع



التهمة عنهم، بأنهم ما جاؤوا إلى مصر ليفسدوا في الأرض، أو ليسرقوا، وإنما جاؤوا تجاراً، يستبدلون سلعة بسلعة.

ولكن ما هو جزاء إخوة يوسف عليه السلام إن وُجد صِوَاع الملك في رحالهم؟ لابد أن يعترفوا بجرمهم، وأن يقبلوا حكم الملك – أو من ينوب عنه – فيهم، كيف لا يقبلون بحكم الملك وهم ينكرون أنهم سارقون، وأنهم مفسدون، أو أنهم كاذبون؟!

وبدأ التفتيش، ولتضليل إخوة يوسف عليه السلام بأن الأمر غير مدبَّر؛ بدأ في تفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء قبل وعاء أخيه الشقيق، ولكنَّ الصِّوَاع لم يوجد إلا في رَحْل أخيه، وبهذا الإجراء الذي اتخذه يوسف عليه السلام؛ تمكَّن من أن يضمن بقاء أخيه معه بطريقة قانونية، وهذا يتطلَّب علماً، وفوق كل ذي علم عليم.

واندهش إخوة يوسف عليه السلام، وأخذتهم المفاجأة؛ فأصيبوا باضطراب شديد ظهر على وجوههم، وفي حركاتهم، وبعد استيعاب الصدمة تفطَّنوا إلى ضرورة الدفاع عن أنفسهم، وتبرير ما حدث بأيِّ شكل من الأشكال، فلم يجدوا عذراً ولا مبرِّراً مقبولاً إلاَّ أن يتهموا أخاهم بالسرقة، مضيفين إلى ذلك اتهام يوسف عليه السلام نفسه بالسرقة؛ وكأن لسان حالهم يقول: إن أخانا غير الشقيق قد سرق مثلما سرق أخوه الشقيق من قبل، بينما نحن الإخوة الأشقاء لسنا سارقين؛ فالعيب في الأخوَيْن الشقيقَيْن – يوسف عليه السلام وأخوه – وليس فينا.

ورغم صدور هذا الاتهام الخطير من طرف شبانٍ ثبتت عليهم السرقة؛ فلم يكن في وسع يوسف عليه السلام إلا أن يكون حليماً معهم، ولم يظهر ما شعر به بسبب هذا الاتهام، بل أخفى انفعالاته. ورغم ذلك؛ فإنه لم يتمالك نفسه في وصف إخوته بأنهم أشراراً ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يوسف: ٧٧، وأنه يترك ما يصفون به يوسف عليه السلام وأخاه لله سبحانه وتعالى الذي يعلم كل شيء، وكأن يوسف عليه السلام بهذا القول يريد أن يوقظ الضمير عند أخوته، ويشعرهم





بالذنب لما اقترفوه في حقِّ يوسف عليه السلام عند إلقائه في الجُبِّ، وبيعه مثل العبيد، وأكل ثمنه، ثم اتهامه بالسرقة.

ورغم صعوبة الموقف الذي وجد أخوة يوسف عليه السلام أنفسهم فيه أمام حاكم قوي، أقام عليهم الحجة بالسرقة، فقد تذكروا وعدهم لأبيهم بالحفاظ على أخيهم؛ فراحوا يستعطفون العزيز يوسف عليه السلام أن يأخذ أحدهم مكان أخيهم، مبرّرين استعطافهم من جهةٍ بكبر سنِّ أبيهم، ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ يوسف: ٧٨، الذي لن يتحمل صدمة ضياع ابنه الثاني، وبمدح العزيز ووصفه بالإحسان من جهةٍ أخرى، **ونلاحظ هنا أن حجة إخوة يوسف عليه السلام في استعطافهم للعزيز قائمةٌ أساساً على تجنيد الجانب الوجداني عند العزيز؛ لعله يلين ويستجيب لاستعطافهم، ولكنَّ ردَّ العزيز كان منطقياً وعقلانياً؛ إذ رفض استعطافهم مبرِّرا ذلك بإقامة العدل؛ إذ ليس من العدل أن يأخذ شخصاً ما بجريرة شخصٍ آخر، وكيف يقام العدل إذا أُطلق المجرم الذي ثبتت عليه السرقة، وسُجن البريء؟!.**

ألجم منطق العزيز ألسنة الشبان الذين أصيبوا بإحباط شديد، وفقدوا الأمل في إقناع العزيز واسترجاع أخيهم؛ فأخذوا يتناجون فيما بينهم ويتشاورون، فالموقف صعبٌ ومحرجٌ بالنسبة إليهم للغاية، سواءٌ أمام العزيز، أم أمام أبيهم الذي أخذ منهم مَوْثِقاً في عدم التفريط في أخيهم؛ وقد ذكَّرهم بهذا المَوْثِق أخوهم الأكبر، كما ذكَّرهم بتفريطهم في يوسف عليه السلام من قبل؛ إذ إن التفريط في أخيهم هذا سيضاف إلى تفريطهم في يوسف عليه السلام من قبل، مما سيُفقد مصداقيتهم عند أبيهم، ولذا أصرَّ أخوهم الأكبر على البقاء في مدينة العزيز؛ حتى يتلقى إذناً من أبيه بالمغادرة، أو يجعل الله سبحانه وتعالى له أمراً، وهو خير الحاكمين.





ويطلب منهم أخوهم الأكبر بشيءٍ من الغضب الممزوج بالحزن أن يرجعوا إلى أبيهم، ويرووا له ما حدث بالضبط؛ قولوا لأبيكم: إن ابنك قد سرق ونحن نشهد على ذلك فقد أُخرج الصِّوَاع من رَحْلِه أمام أعيننا، وقولوا له: إن لم تصدِّقنا فاسأل القافلة التي جئنا فيها، واسأل أهل المدينة، وقولوا له أيضاً: لقد آتيناك مَوْثِقًا من الله ﷻ أن نحافظ على أخينا، ولكنَّنا لم نكن نعلم الغيب، ولم نكن ندري بأنه سيسرق صِوَاع الملك، واشرحوا له أن هذه الحقائق كلها شهادات على صدقنا، وأنني قد بقيت هنا في انتظار أوامره؛ التزاماً بالعهد الذي عاهدناه عليه.

فكيف كان ردُّ فعل النبي يعقوب عليه السلام أمام هذا الخَطْب الجليل؟ ها هو ابنه الثاني يضيع منه كما ضاع يوسف عليه السلام من قبل، وسبب الضياع تهمة السرقة، وأي سرقة؟ سرقة صِوَاع الملك الذي أخرج من رَحْلِه أمام الملأ. ولا شك، أن الخبر طارت به الركبان، وانتقل من فاهٍ إلى فاهٍ، ومن قافلةٍ لقافلةٍ، ومن قبيلةٍ إلى أخرى.

ورغم تأكيد أبنائه لصدقهم؛ فإن النبي يعقوب عليه السلام لم يصدِّقهم، واتهمهم بأن أنفسهم قد دفعتهم ليدبِّروا مكيدةً لأخيهم، كما دبَّروا مكيدةً ليوسف عليه السلام من قبل، ولكن النبي يعقوب عليه السلام لم يجد دليلاً على اتهامهم؛ فاكتفى بالإشارة ملتجِأً إلى الصبر الجميل، متيقِّناً بأن الله ﷻ سيجمعه مع ابنَيْه، كما يقتضي علمه وحكمته.

لم يجد النبي يعقوب ﷻ بُدّاً من الابتعاد عن أبنائه؛ فقد أصبح لا يطيق الموقف، واستولى عليه الحزن الشديد (الاكتئاب)؛ بل أصيب بصدمة شديدة من الإحباط والاكتئاب أثرت في عينيه؛ فكُفَّ بصره، لعجزه عن التعبير الصريح عن ألمه، وتفريغ شحنات غضبه وحزنه جرَّاء تصرفات وأقوال أبنائه، وقد أدَّى به كبت انفعالاته إلى إصابته بكفِّ البصر، وفي هذا دليلٌ واضحٌ على كيفية تأثير الجانب الانفعالي في الجانب الجسمي – الحزن الشديد والعمى في هذه الحالة. وفي هذه الحالة إشارة إلى



أن كبت الانفعالات قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية – جسمية (اكتئاب، عمى، قرحة... الخ).

فإن حزن يعقوب عليه السلام كان شديداً وطويلاً إلى حدٍّ بَالَغَ فيه بعض المفسرين؛

فقال الزمخشري يصف حزن النبي يعقوب عليه السلام، وطول مدته: "الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض؛ فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من وقت فراق يوسف عليه السلام إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله سبحانه وتعالى من يعقوب عليه السلام، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سأل جبريل عليه السلام: "ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وَجْدُ سبعين ثكلى. قال: فما كان له من الأجر؟ قال: مائة شهيد، وما ساء ظنُّه بالله ساعةً قطُّ"[1]،

ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدَه إبراهيم، وقال: "القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الربَّ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون"، وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب"[2]

وقد تفطَّن أبناء يعقوب عليه السلام لما يعانيه أبوهم من حزنٍ شديدٍ، ولما قد ينجرُّ عن ذلك من اضطرابات؛ بل ومن هلاك: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَـٰلِكِينَ ٨٥﴾ يوسف: ٨٥، فما كان جواب يعقوب عليه السلام على تعليق أبنائه؟ لم يرد النبي يعقوب عليه السلام أن يشكو حزنه وألمه الشديد لأبنائه، مقتصراً في ذلك على الله سبحانه وتعالى ذلك لأنه قد علم من الله سبحانه وتعالى ما لم يكن أبناؤه يعلمون، **فماذا كان يعقوب عليه السلام يعلم من الله سبحانه وتعالى؟**

أمر يعقوب عليه السلام أبناءه أن يذهبوا يتحسَّسوا أخبار يوسف عليه السلام وأخيه، مما يدل على اعتقاده الجازم بأن يوسف عليه السلام ما يزال حيّاً، وأن الله سبحانه وتعالى سيجمعه معه ومع

---

[1] الكشاف للزمخشري (2/ 497).
[2] الكشاف للزمخشري (2/ 498).



أخيه؛ ولم يكتف النبي يعقوب عليه السلام بإصدار الأمر؛ بل أوصى أبناءه ألاَّ يصيبهم اليأس في البحث عن يوسف عليه السلام وأخيه، والحصول عليهما؛ إذ ليس من صفات المؤمنين اليأس من رَوْح الله عز وجل؛ فالله سبحانه وتعالى رحيم كريم.

وهنا يفتح النبي يعقوب عليه السلام أمام أبنائه باب التفاؤل بدلاً من التشاؤم، وطريق الخير بدلا من الشر، وسبيل الأخذ بالعزيمة والأسباب بدلاً من التخاذل، والإحباط، وروح الهزيمة والتواكل، رغم ما كان يعانيه.

وجهز أبناء يعقوب عليه السلام بضاعتهم ليقصدوا عزيز مصر مرةً أخرى للمقايضة، والحصول على صدقاته، ودخلوا على العزيز على خجلٍ واستحياء، وهم يشكون إليه الضُّرَّ الذي مسَّهم وأهلهم جرَّاء الجدب والقحط، وعرضوا عليه بضاعتهم، راجين منه أن يتصدَّق عليهم، وهم يدعون الله سبحانه وتعالى له أن يجزيه خير جزاء.

وحان الوقت الذي ينبغي أن يكشف فيه العزيز عن سرِّه لأبناء يعقوب عليه السلام ففاجأهم بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ يوسف: ٨٩، لم تكن المفاجأة في سؤال العزيز عن يوسف عليه السلام وأخيه فقط؛ بل في صيغة السؤال؛ حيث وجَّه إليهم سؤالاً استنكاريّاً، قرن العزيز فيه بين يوسف عليه السلام وأخيه من جهة، ووصف فيه سلوكهم بالجهل من جهة أخرى، ولعل صيغة السؤال ومؤشرات أخرى - قد تكون غير لفظية - هي التي نبَّهت أبناء يعقوب عليه السلام إلى أنهم بحضرة أخيهم يوسف عليه السلام.

ورغم المفاجأة الشديدة التي صعقتهم، فقد راحوا يتأملون بتمعن وجه العزيز، ويتبادلون النظرات وهم يهمسون، و﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف: ٩٠!!! **ولمراقب هذا المشهد أن يتصور مدى الانفعال الشديد الذي أصاب إخوة يوسف عليه السلام جرَّاء المفاجأة، وجرَّاء انكشاف الحقيقة أمامهم، ولا**





شك أن ألسنتهم قد شُلَّت للحظات، وانسحب الدم بسرعة من وجوههم الشاحبة، ودقَّت قلوبهم بسرعة فائقة، وارتجفت أوصالهم فَرَقاً وخجلاً من فعلهم الشنيع مع يوسف عليه السلام، وترقُّباً للخطر الذي أحدق بهم؛ فطأطؤوا رؤوسهم خوفاً وخجلاً.

احتفظ العزيز بهدوئه المعتاد، وأكدَّ لهم أنه هو يوسف عليه السلام ومعه أخوه، شاكراً نعم الله عز وجل عليهما، مذكراً إياهم بأن التقوى والصبر هما وسيلتان للحصول على الأجر والثواب من عند الله عز وجل، **وتنبغي الإشارة هنا إلى اقتران التقوى بالصبر، مما يدل على الارتباط القوي بين الصفتين، وتأثيرهما في السلوك عند ارتباطهما.**

وهذا الارتباط يدلنا على أن الصبر الحقيقي هو القائم على التقوى والإحسان، وليس الصبر القائم على الانهزام النفسي، والإحسان هو أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنك تعتقد اعتقاداً جازماً بأنه يراك، وإذا كنتَ في موقف البلاء والامتحان؛ فإنك تعتقد جازماً بأنه يراك ويرعاك، ويعضد هذه الحقيقة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ٣ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣، ويدلنا أيضاً هذا الارتباط بين التقوى والصبر على كيفية تأثير الجانب الروحي – التقوى – في الجانب السلوكي – الصبر – وقد تجلى تقوى يوسف عليه السلام في سلوكه مع امرأة العزيز، ونسوة المدينة، وصاحبيه في السجن، وفي تأويله لرؤيا الملك، وفي تسييره لشؤون اقتصاد البلد خلال سنوات الرخاء، وخلال سنوات الكساد الاقتصادي، ويتجلى أيضاً في سلوك يوسف عليه السلام مع إخوته الذين كانوا في موقف ضعف شديد؛ بل وفي موقفٍ مخجلٍ ومخزٍ، لم يكن أمامهم فيه بُدٌّ إلا الاعتراف بخطئهم، والإقرار بأن الله سبحانه وتعالى قد فضَّل يوسف عليه السلام عليهم، وأن هذا الفضل والإيثار ليس من طرف أبيهم؛ بل هو من فضله سبحانه وتعالى على يوسف عليه السلام،





الذي حباه ﷻ بأجمل الصفات والسمات الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة؛ إعداداً له لمواقف صعبة، ومواقع قيادية عالية، ليست المسؤولية فيها هينة.

لم يعمد يوسف عليه السلام إلى تجريح شعور إخوته، كما لم يستغل الضعف الشديد الذي كانوا عليه أمامه؛ بل عمد إلى رفع اللوم عنهم، والدعاء بأن يغفر الله عز وجل لهم زلاَّتهم، وهو أرحم الراحمين.

فانظر كيف قابل القائد العظيم الخطأ بالعفو، و"العفو عند المقدرة"، وكيف بدَّل انفعالاتهم السلبيَّة الشديدة – خوف وخجل – بالدعاء والاستغفار لهم؛ لتطمئن قلوبهم، وتسكن جوارحهم، مذكِّراً إيَّاهم برحمة الله ﷻ، وهو أرحم الراحمين.

وبعد أن يسكن روعهم، وينالوا قسطاً من الراحة، يطلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يذهبوا بقميصه إلى أبيهم، ويرموه على وجهه؛ ليرتدَّ إليه بصره، كما يطلب منهم أن يحضروا أهلهم أجمعين؛ ليكرمهم ويقرِّبهم إليه، لما في ذلك من صلةٍ للرحم.

ولكن سرور النبي يعقوب عليه السلام لم يمنعه من تذكير أبنائه بما قال لهم سابقاً، بأنه قد يعلم من الله ﷻ ما لا يعلمون، ولم يكن ذلك – بالتأكيد – إلا وحياً، وأمام الدليل الذي قام أمام أعينهم؛ لم يتمالك أبناء يعقوب عليه السلام إلا الاعتراف بذنوبهم وأخطائهم؛ فترجَّوا أباهم بحرارة أن يستغفر الله عز وجل لهم.

ولك أن تتصور مدى الشعور بالذنب الذي أحس به أبناء يعقوب عليه السلام جرَّاء أخطائهم، فتجلَّى شعورهم هذا في الكلمات التي استعملوها؛ حيث قالوا: ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ يوسف: ٩٧، فاعترفوا بالأخطاء وبالذنوب والشعور بالذنب، ولولا هذا الشعور ما طلبوا من أبيهم أن يستغفر الله عز وجل لهم، لكنَّ طلبهم هذا وطلبهم من يوسف عليه السلام ذلك من قبل – ولا شك – كان سبيلاً للتخلص من الشعور الشديد بالذنب والخجل.





وإذا كان الاعتراف في القانون هو سيد الأدلة؛ فإنه من الناحية النفسية يخلِّص النفس البشرية من الصراع الذي قد تقع فيه، ومن الشعور الشديد بالذنب الذي يعذبها أشد العذاب، قد يتجاوز أي نوع من أنواع التعذيب الذي قد يتعرض له المذنب لو أقرَّ واعترف بذنبه، وإذا كان بعض المذنبين يعترفون بذنوبهم؛ للاستفادة من الظروف المخفَّفة نتيجة الاعتراف، فإن بعضهم يعترفون بذنوبهم لإراحة ضمائرهم - أولاً وقبل كل شيء - من العذاب النفسي الذي يعانونه.

وحزم يعقوب عليه السلام أمتعته القليلة فوق جماله الهزيلة، ويمَّم وجهه شطر مصر مع أبنائه؛ للالتقاء بيوسف عليه السلام وأخيه، ويصلون إلى مصر منهوكي القوى بعد سفرٍ مُضْنٍ عبر صحارٍ وأراضٍ جرداءَ مقفرةَ.

وصل خبر وصولهم إلى العزيز، فيخرج مع أخيه وحاشيته لاستقبال أهله أحسن استقبال، ويُجلس أبوَيْه على أريكتين فخمتين، ولا يتمالك يعقوب عليه السلام وحرمه وأبناؤه أنفسهم دون السجود ليوسف عليه السلام لما رأوه من عظمة الملْك، وجلال الموقف، وروعة المكان، وبديع الفنون، وحرارة الاستقبال، كما لم يتمالك يوسف عليه السلام نفسه من التعبير عن سروره، وشكره لله سبحانه وتعالى على ما حباه به من التفضيل، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العالية؛ فذكَّر أباه برؤياه، ملمِّحاً إلى تأويلها بالموقف الذي وجدوا أنفسهم جميعاً فيه، وهل هناك أحسن من وقوع الرؤيا كحقيقة تُرى بعد أن كانت نبوءة في عالم الغيب؟! وراح يوسف عليه السلام يعدِّد نعم الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أهله، والتي تمثلت في:

- تحقُّق رؤياه التي رآها في طفولته.
- إخراجه من السجن بعد أن كادت له امرأة العزيز.
- مجيء أهله من البدو إلى الحضر، واجتماعه بهم.
- فشل الشيطان في الإيقاع والتفريق بينه وبين إخوته.





ولم يُغفل يوسف عليه السلام بعد الحمد والشكر عن الدعاء بحسن الخاتمة؛ حتى يتوفاه الله سبحانه وتعالى مسلماً، ويلحقه بالصالحين من الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

كل هذه الأحداث التي شكَّلت قصة يوسف عليه السلام والابتلاء الذي مرَّ به خلال مختلف مراحل حياته؛ في طفولته عندما ألقى في الجُبِّ، وفي شبابه عندما افتتنتْ به امرأة العزيز، وكادت أن توقعه في حبائلها، ووضعه في السجن لرفضه الرضوخ لشهواتها، وفي رجولته عندما تولى تسيير اقتصاد مصر خلال سبع سنوات من الرخاء، ثم خلال سبع سنوات أخرى من الكساد الاقتصادي، عبارةٌ عن دروسٍ وعبرٍ لمن أراد أن يعتبر.

ولا شك أن السنوات التي قضاها يوسف عليه السلام في الحكم والتسيير قد مكَّنت يوسف عليه السلام من إقامة العدل والقسط بين الناس، ومحاربة الفساد والمحاباة، والظلم والعدوان، واللامبالاة، لقد كانت سنواتٌ لإرساء القيم الإيجابيَّة، وقلع جذور الممارسات السلبيَّة، وإعلاء كلمة الله عز وجل، والإحسان إلى عباده.

هذه الأحداث كانت من أنباء الغيب التي لم يطَّلع عليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحي، الذي شكل المصدر المعرفي الوحيد لنبينا صلى الله عليه وسلم وإلا لكانت الإسرائيليات قد طغت على معارفه، ولشوَّهت قصصه ورواياته.

الخلاصة:

ماذا يُستخلص من قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم؟

القصة والسورة بصفة عامة غنية بالعظات والعبر، كما أنها غنية بالسنن والمواضيع النفسية وغيرها، الجديرة بالبحث العلمي، مثل موضوع الرُّؤَى، وعوامل الاكتئاب، ودور العامل الروحي في علاج الاكتئاب، وعلاج الاضطرابات (النفسية - الجسمية) علاجاً نفسياً وروحياً. ومهما يكن؛ ففيما يأتي بعض ما يمكن أن يُستخلص من هذه القصة:





1. ابتلاء الأنبياء والأخيار، واختبارهم في مواقف متباينة، كأن يكون الابتلاء مرةً في مواقف الشدة – الضعف والحزن مثلاً – ومرةً أخرى في مواقف الرخاء – القوة والسرور.
2. تعرُّض الأنبياء والأخيار إلى الظلم من ذوي القربى، وذوي الجاه والسلطة، وأن هذا التعرُّض قد يقع جرَّاء سنن التدافع بين الأفراد والمجتمعات.
3. لا يعني طول الابتلاء اليأس من روح الله سبحانه وتعالى.
4. الانفعالات والجانب الوجداني بصفة عامة جزءٌ أساسٌ في الطبيعة البشرية.
5. تأثير الجانب الوجداني في السلوك، سواء كان هذا السلوك نشاطاً ذهنياً أم جسمياً، وقد يصل هذا التأثير إلى حدِّ تعطيل بعض وظائف الأعضاء.
6. لا يدلُّ وقوع الظلم على الأخيار والأنبياء وطول مدته على انتصار الظلم على العدل، والباطل على الحق؛ فإن الله سبحانه وتعالى يُمْهل ولا يُهْمل.
7. انتصار الحق على الباطل، والعدل على الجور، والخير على الشر، مهما طال الزمان، وساد الظلم والطغيان.
8. العفو عند المقدرة من عوامل استتباب الأمن والعدل.
9. القيادة الصالحة والفعالة شرطٌ أساسٌ لتسيير البلاد والعباد في الشدة والرخاء، وتحقيق العدل والنماء.
10. انطباق سنن الطبيعة البشرية، وقوانين التدافع بين الناس على الأنبياء والأخيار، وإن كان الوحي يوجِّه الأنبياء والرسل ويعصمهم.
11. أكثر الناس لا يشكرون نعم الله سبحانه وتعالى وفضائله عليهم؛ فكيف يشكرون غيرهم من الناس إن كانوا لله سبحانه وتعالى لا يشكرون؟!



الخــاتـمـة

نحمد الباري ونشكره على فضله ونعمه ورحمته، ها نحن نخط بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا الكتاب بعد رحلة كبيرة من الجهد والتعب والسهر، وقد عرضنا بهذا الكتاب بعد بحث وجهد عميق موضوع قصة النبي يوسف عليه السلام التي هي أحسن القصص. هذا وقد كانت رحلة ممتعة تستحق التعب والعناء، وهي كانت رحلة ارتقت بالفكر والعقل وقد عرجت بالأفكار المهمة لهذا الموضوع، وما هذا الجهد إلا نقطة في بحر العلم وجهد العلماء الذين سبقونا في العلم والبحث، وهذا الجهد هو قليل على البحث العلمي ولكن يكفينا شرف المحاولة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وإن وفقنا فمن الله عز وجل، وقد قال عماد الدين الاصفهاني :"رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

وأخيراً لقد تقدمنا باليسير في العلم، ونرجو أن نكون قد وفقنا وينال رضاكم

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي وخير معلم والهادي والمبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبة أجمعين.



الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	2
المقدمة	3
مقتطفات من حياة النبي يوسف عليه السلام	6
طفولة النبي يوسف عليه السلام ورؤياه	8
يوسف عليه السلام في البئر	9
يوسف عليه السلام وعزيز مصر	11
يوسف عليه السلام وامرأة العزيز	12
نسوة المدينة	14
يوسف عليه السلام في السجن	15
مكان السجن	19
نجاة يوسف عليه السلام من السجن	20
خروج يوسف عليه السلام من السجن	21
لقاء يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين	23
قميص يوسف عليه السلام	24
تأويل رؤيا يوسف عليه السلام	25
زوجة يوسف عليه السلام	26
لقاء يوسف عليه السلام مع والده	29
وفاة يوسف عليه السلام	33
فوائد من قصة يوسف عليه السلام	34





قراءة نفسية لقصة يوسف عليه السلام	39
الخاتمة	75
الفهرس	76

